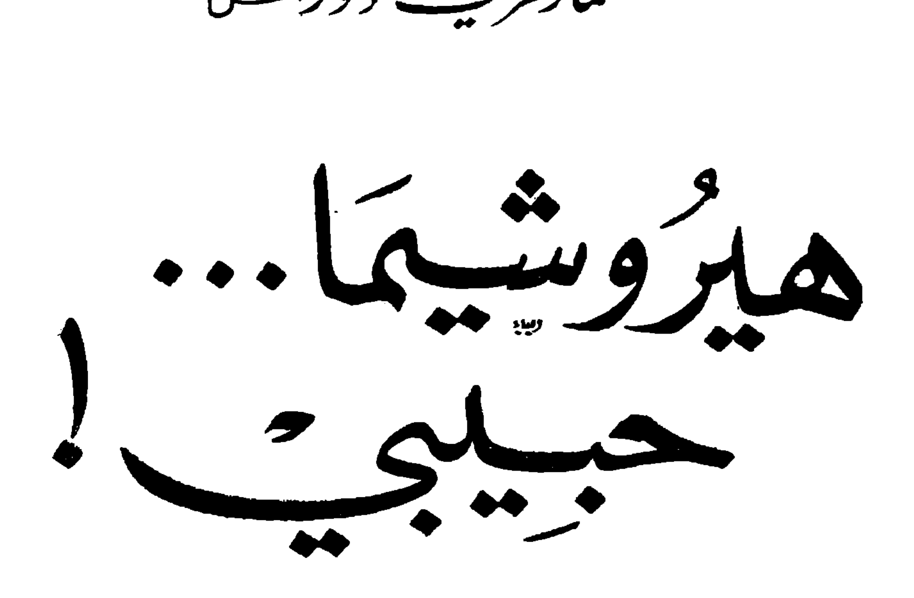

Twitter: @alqareah
20.1.2016
هيروشيما
حبيبي
مارغريت دوراس
ترجمة
الدكتور سهيل ادريس
دار الآداب



مارغريت دوراس

هيروشيما... حبيبي!

دار الآداب - بيروت

الطبعة الثانية ١٩٩٠م

تقديم

« هيروشيما ... حبيبي ! » فيلم فرنسي رائع أثار في الأشهر القليلة الماضية ضجة كبيرة في أوساط العالم ، وشهد إقبالاً لم تعرفه الا افلام رفيعة نادرة .

إنه مأساة الحرب ... والحب !

ولم يسبق لفيلم او لقصة قبل الآن ان عبّرا تعبيراً دقيقاً رائعاً عن الصلة التي تربط بين الحب والحرب من حيث عنصر الفاجعة والمأساة .

ويسرّ « دار الآداب » ان تقدم قصة هذا الفيلم وحواره ، لاعتقادها بأنه من اعمق الانتاج المعاصر الذي يعكس قضية من أخطر القضايا المعاصرة ، ولايمانها بأن هذه القصة قد كتبت بحسّ فنّي مرهف نحتاج أعمق الحاجة الى مثله في كتابة قصصنا السينمائية العربية . فعسى

أن يكون فيه متعة للقاريء الذي سيترقب مجيء هذا الفيلم الى العالم العربي ، ودرس للكاتب السينمائي الذي ينبغي ان يسهم في محاولة إرهاف حسّ المشاهد العربي .

« دار الآداب »



القصة

نحن في هيروشيما ، في شهر آب من صيف ١٩٥٧ .

امرأة فرنسية ، في حوالى الثلاثين من عمرها ، موجودة في هذه المدينة . وقد جاءت اليها لتمثل في فيلم عن « السلام » .

وتبدأ القصة قبيل عودة هذه الفرنسية الى فرنسا بليلة واحدة . والواقع ان الفيلم الذي تمثل فيه قد انتهى ، ولم يكن باقياً منه الا اللقطات الاخيرة .

وقبيل عودة هذه الفرنسية الى فرنسا بليلة واحـــدة (هذه الفرنسية التي لا يذكر اسمها في الفيلم قط) تلتقي برجل ياباني (مهندس) فتنعقد بينهما قصة حب قصيرة جداً .

ولا تتضح في الفيلم ظروف هذا اللقاء . فليس هذا هو المهم ؛ إن الناس يتلاقون في كل مكان من العالم ،

وانما المهم ما يتبع هذه اللقاءات اليومية .

ولا يُرى في بدء الفيلم هذان اللذان التقيا ذلك اللقاء المرتجل . لا تُرى هي ، ولا يُرى هو ، وانما يُرى بدلاً منهما أجسامٌ مبتورة ، في مستوى الرأس والأجناب ، متحركة ، اذ هي فريسة الحب او الاحتضار ، يغطّيها على التوالي الرماد والندى والموت الذرّي ، وعرق الحب الناجز .

ومن هذه الاجسام المشوّهة ، المغفلة ، يخرج جسماهما رويداً رويداً .

انهما مضطجعان في غرفة فندق ، عاريين . جسمان أملسان ، نضران .

فعمَّ يتحدثان ؟ عن هيروشيما بالذات .

هي تقول له انها قد رأت كل شيء في هيروشيما . ويرى المشاهد ما رأته ، فاذا هو فظيع . بينما يرتفع صوته هو نافياً ، واصفاً الصور بأنها كاذبة ، ثم يردد في لامبالاة وثقل بأنها لم ترَ شيئاً في هيروشيما .

وهكذا يكون حديثهما الاول رمزياً . انه بالاجمال حديث اوبرا . فمن المستحيل التحدث عن هيروشيما وكل ما بالامكان عمله هو التحدث عن استحالة التحدث عن هيروشيما ، بدعوى ان « معرفة هيروشيما » هي موضوعة مسبقة كخديعة نموذجية للفكر .

ولا شك في ان هذه البداءة ، هذا الاستعراض الرسمي

للفظائع المعروفة عن هيروشيما ، والتي تُبعث ذكراها مجدداً في سرير فندق بعثاً تدنيسياً ، شيء ارادي مقصود . فبالامكان التحدث عن هيروشيما في كل مكان ، وحتى في سرير فندق ، خلال لقاء غرامي ، وغراميات خاطئة ؛ يذكّرنا بذلك جسما البطلين المأخوذان تماماً . غير ان ما دو خطيئة حقاً ، ان كان ثمة من خطيئة ، فانما هي هيروشيما ذاتها . فلا حاجة للمرء بأن يكون منافقاً وان يحرّف القضية .

ومهما ضؤل ما يُعرض على المشاهد من « هياكل هيروشيما » ، من هذه الآثار البائسة « لهيكل فراغ » ، فانه لا بد ان يخرج من هذه الذكرى وقد تطهّر من عدد من الآراء المسبّقة ، واصبح مهيأً لأن يتقبل كل ما سوف يقال له عن بطلينا .

وها هما بالفعل يعودان الى قصتهما الخاصة .

وهي قصة عادية ، قصة تحدث كل يوم ، آلاف المرات . ان الياباني متزوج وله اولاد . والفرنسية متزوجة ايضاً ولها ولدان . وهما انما يعيشان مغامرة ليلة .

ولكن اين ؟ في هيروشيما .

إنّ هذا اللقاء ، مهما كان عادياً وتافهاً ، إنما يحدث في المدينة التي يصعب كلّ الصعوبة تخيّله فيها : هيروشيما . وليس ثمة ما هو « ممنوحٌ » لهيروشيما . فان هالةً خاصةً تكلّل فيها كل حركة وكل كلمة بمعنى إضافي لمعناها

الحرفي . وتلك غاية رئيسية من غايات القصة ، أن تتخلى عن وصف الفظائع بالفظائع ، لأن ذلك قد صنعه اليابانيون أنفسهم ، وان تبعث هذه الفظائع مرة اخري من رمادها بتسجيلها في إطار حب ّ يكون بالضرورة فريداً و «عجيباً» ، حب يصدّقه الانسان اكثر مما لو حدث في اي مكان آخر من العالم ، في مكان لم « يطبعه » الموت بطابعه .

فبين كائنين متباعدين أشدّ ما يكون التباعد ، جغرافياً وفلسفياً وتاريخياً واقتصادياً وعرقياً الخ ... تكون هيروشيما الأرض المشتركة (وربما كانت الارض الوحيدة في العالم) التي تظهر فيها معطيات الغرام والحب والشقاء تحت ضوء ساطع. إن التصنّع مقبول في ايّ مكان إلاّ في هيروشيما . أما في هيروشيما ، فانه لا يمكن ان يوجد ، وإلاّ فهو مستنكر .

انهما سيظلان يتحدثان عن هيروشيما ، حتى وهما يضطجعان . بطريقة مختلفة . في الرغبة وربما على مضض منهما ، في الحب الذي يولد .

إن حديثهما سيتناول في وقت واحد موضوعهما ذاته وموضوع هيروشيما ؛ وسيختلط كلامهما ويمتزج بحيث يكفّ — بعد اوبرا هيروشيما — عن ان يتميّز بعضه عن الآخر .

ومهما كانت قصتهما الخاصة قصيرة ، فانها هي التي

تطغى على قصة هيروشيما .

واذا لم يُراع هذا الشرط ، كانت هذه القصة قصة اخرى من القصص الموصى عليها ، التي لا أهمية لها الا أهمية الوثيقة الروائية . اما اذا روعي هذا الشرط ، فاننا سننتهي الى نوعٍ من الوثيقة المزيفة ستكون اكثر دلالة على درس هيروشيما من الوثيقة الموصى عليها .

ويستيقظان ، ثم يتحدثان من جديد ، بينما هي ترتدي ثيابها . يتحدثان في شؤون مختلفة وفي شأن هيروشيما ايضاً . ولِمَ لا ؟ إن ذلك طبيعي جداً ، فنحن في هيروشيما .

ثم تبدو فجأة وهي ترتدي اللباس الكامل لممرضات الصليب الأحمر .

وهو سوف يشتهيها من جديد في هذا اللباس الذي هو مبدئياً لباس الفضيلة الرسمية . ويودّ ان يراها مرة اخرى . إنه في ذلك يشبه الجميع ، جميع الرجال : « تماماً » ، وإن في هذا التنكّر عاملاً عاطفياً مشتركاً لدى جميع الرجال . (ممرضة ابدية لحرب ابدية ...)

ولكن لماذا لا تريد هي ان تراه مرة اخرى ، بالرغم من انها تشتهيه كذلك ؟ انها لا تدلي باسباب واضحة عن ذلك .

واذ يستيقظان ، يتحدثان ايضاً عن ماضيها هي

فما الذي حدث في « نيفر » ، في مسقط رأسها ،

بمقاطعة نيافر هذه التي رُبّيت فيها ؟ ما الذي حدث في حياتها حتى تكون هكذا ، حرّة الى هذا الحدّ ومطارَدة في الوقت نفسه ، مستقيمة الى هذا الحدّ وغير مستقيمة معاً ، غامضة الى هذا الحدّ وواضحة معاً ؟ شديدة الرغبة في ان تعيش غراميات عابرة ، وجبانة الى هذا الحدّ امام الحب ؟

قالت له انها كانت ذات يوم مجنونة في نيفر . مجنونة من الشراسة . قالت ذلك كما ستقول انها عرفت مرة في نيفر ذكاء حاسماً . بالطريقة نفسها .

واذا كان هذا « الحادث » في نيفر يشرح مسلكها الحالي في هيروشيما ، فانها لا تقول عنه شيئاً . انها تروي حادث نيفر كشيء آخر . من غير ان تشرح سببه .

وتذهب وقد قررت ألا تراه مرة اخرى .

ولكنهما سيلتقيان مرة اخرى .

في الساعة الرابعة بعد الظهر . في « ساحة السلام » بهيروشيما (او امام المستشفى) .

ويبتعد مصورو الفيلم (وهم لا يُرون في الفلم الا مبتعدين بآلاتهم) وتُفكّ المنابر والمقاعد ، وتُنزع الرايات .

والفرنسية تنام في ظلّ منبر يُفكّ .

لقد جرى العمل في فيلم ذي عبرة عن السلام . وليس هو فيلماً مضحكاً على الاطلاق ، غير انه فيلم آخر من

الافلام ، هذا كل ما في الأمر .

ويمرّ رجل ياباني في الجمع الذي يقترب مرة اخرى من ديكور الفيلم الذي اوشك أن ينتهي . وليس هذا الرجل الآ الذي رأيناه صباحاً في الغرفة . ويرى الفرنسية فيقف ، ويتجه اليها ، وينظر اليها وهي نائمة . فتوقظها نظرته ، ويتبادلان النظر ، ويشتهي أحدهما الآخر كثيراً. وهو لا يوجد هناك بالاتفاق . لقد جاء ليراها مرة اخرى

ويتمّ الاستعراض فور التقائهما تقريباً . إنه آخر مناظر الفيلم . صفوف اولاد ، وصفوف طلاّب . كلاب . قطط . حمير . كل هيروشيما ستكون هناك كما هي دائماً حين تكون القضية خدمة السلام في العالم . إنه استعراض غريب حقاً .

وسوف تكون الحرارة شديدة ، وسوف تكون السماء نذيراً . وسوف ينتظران ريثما يمرّ العرض . وفي هذه الاثناء ، يقول هو لها انه يعتقد بأنه يحبّها .

وسيصحبها الى بيته ، حيث يتحدثان باختصار عن حياتهما .

إنهما إنسانان سعيدان في حياتهما الزوجية ، ولا يبحثان معاً اذ هما يلتقيان عن اي تعزية من شقاء في حياتهما الزوجية .

وفي بيته ، إذ هما في غمرة الحب ، تبدأ هي تحدثه

عن نيفر .

وسوف تهرب ايضاً من بيته ، فيدلفان الى مقهى على النهر « ليقتلا الوقت قبل سفرها . » ويهبط الليل . ويبقيان هناك بضع ساعات ، ويزداد حباً ما انقضى الوقت الباقي لهما قبل إقلاع الطائرة صباح اليوم التالي .

وفي ذلك المقهى تروي له لماذا جُنّت في نيفر .

لقد جزّوا لها شعرها في نيفر عام ١٩٤٤ ، وهي في العشرين من عمرها . كان عشيقها الاول ألمانياً قُتِل في « التحرير » .

ولقد ظلت في كهف في نيفر ، مجزوزة الشعر وحين جاءت هيروشيما فقط ، كانت هي معقولة بما فيه الكفاية لتخرج من هذا الكهف وتمتزج بالجموع الجذلى في الشوارع .

لماذا تراها اختارت هذه المصيبة الشخصية ؟ لأنه هو ايضاً ، بلا شك ، انسان مطلق . ان جزّ شعر فتاة لأنها أحبّت عدواً رسمياً لبلادها ، هو امرٌ مطلق في فظاعته وبلادته .

ان المشاهد يرى نيفر ، كأنها في الغرفة ، ولقد رآها من قبل . ثم يتحدثان مرة اخرى عن نفسهما ؛ تداخل جديد بين نيفر والحب ، بين هيروشيما والحب . ان كل شيء يختلط من غير مبدأ سابق التصميم ، وبالصورة التي لا بد لهذا الاختلاط ان يتم فيها في كل مكان ، حين

يجتمع رجل وامرأة اجتماعهما الاول .

وستذهب من هناك ايضاً . ستهرب منه مرة اخرى .

وتحاول ان تعود الى الفندق ، وان تهدّيء مزاجها ، ولكنها تخفق ، فتخرج من الفندق وتعود الى المقهى الذي يكون قد اغلق ساعتذاك ابوابه . وتظل هناك . وتتذكر نيفر (حوار داخلي) اي تتذكر الحب نفسه .

ولقد تبعها الرجل . وهي تلحظ ذلك . وتنظر اليه . ويتبادلان النظر ، في اعنف الحب . حب بـلا غاية ، مخنوق كالحب الذي عرفته نيفر . فهو اذن حبٌ قد دُفع الى النسيان . وهو اذن حب ابدي (يحفظه النسيان نفسه) .

ولن تلتقي به مرة اخرى .

وستجرجر اقدامها عبر المدينة . وسيتبعها هو كما يتبع مجهولة . وذات لحظة يحاذيها ويطلب منها ان تبقى في هيروشيما ، كما لو كان يحدّث نفسه . فتقول لا . انه رفضُ الناس جميعاً . جبنٌ مشترك (*) .

لقد انتهى الامر حقاً بالنسبة اليها .

(*) ملاحظة : ظن بعض مشاهدي الفيلم ان الامر « سينتهي » بها الى البقاء في هيروشيما . هذا ممكن . وليس لي رأي . فأنني اذ دفعتها الى حد رفضها البقاء في هيروشيما ، لم اهتم بأن أعرف – بعد انتهاء الفيلم – اذا كانت ستستطيع ان تعدل عن رفضها .

ولن يلحّ هو .

وتسير بطيئة الى المحطة ، فيلحق هو بها ، ويتبادلان النظر كأنهما شبحان .

ليس لهما ما يقولانه بعدُ ،ابتداء من هذه اللحظة . ان قرب الرحيل يسمّرهما في صمت مأتميّ .

هي قضية حب حقاً . وليس بوسعهما بعدُ الا ان يصمتا .

وسيقع مشهد اخير في مقهى . سنجدهـــا بصحبة ياباني آخر .

وعلى احدى الطاولات ، نجد مرة اخرى ذلك الذي تحبه ، جامداً تماماً ، من غير رد فعل الا يأساً يُقرّه بكل رضى ، وان كان هذا اليأس يتجاوزه مادياً . ان الامر كما لو انها كانت « لآخرين » . ولا يسعه هو الا ان يفهم ذلك .

وعند الفجر ، تعود الى غرفتها . وسيأتي هو بعـــد دقائق ليطرق الباب . انه لم يستطـــع ان يتجنب ذلك . ويعتذر بقوله « محالٌ ان اتجنب المجيء . »

وفي الغرفة لا يحدث « شيء » . لقد انتهى الامر بهـا كليهما الى عجز متبادل مرهب . ان الغرفة « نظام العالم » سيظل حولها ، ولن يعكّراه بعد ابداً .

ليس من اعترافات متبادلة . وليس من حركة بعد بلى ، سيسمّي احدهما الآخر فقط ، بكل بساطة . ماذا ؟ نيفر ، هيروشيما .

والواقع انهما ليسا بعد احداً في نظر بعضهما . ان لهما اسمي مكانين ، اسمين ليسا منهما . كما لو ان كارثة امرأة مجزوزة الشعر في نيفر وكارثة هيروشيما تتجاوبان تماماً .
وستقول هي له : « هيروشيما ، ذلك هو اسمك . »


Twitter: @alqareah

القسم الأول


Twitter: @alqareah

(يبدأ الفيلم بمشهد نموّ نبتة بيكيني المشهورة ، نبتة « الفُطر » . وينبغي ان يكون لدى المشاهـد شعورٌ مزدوج بأن يرى هذا الفطر للمرة الثانية وللمرة الاولى معاً .

ويجب ان تكون للنبتة مضخّمة جداً ، وبطيئة جداً ، وان يرافق نموها الانغـام الاولى من موسيقى جيوفاني فوسكو .

وبمقدار ما ترتفع هذه النبتة على الشاشة ، يبدو تحتها رويداً رويداً كتفان عاريتان .

ولا يُرى غير هاتين الكتفين ؛ وهما مقطوعتان عن الجسم على مستوى الرأس والجنبين .

ان هاتين الكتفين تتعانقان وتبـدوان كأنهما مبللتان بالرماد او المطر او بالندى او بالعرق .

المهم ان يشعر المشاهد ان هذا الندى قد خلّفته نبتة فطر بيكيني وهي تبتعد وتتبخر .

ويجب ان ينتج عن ذلك شعورٌ عنيف جداً ، شعور متناقض جداً ، بالرطوبة والرغبة .
والكتفان المعتنقتان مختلفتا اللون ، فاحداهما معتمة والاخرى مشرقة .
وتصاحب موسيقى فوسكو هذا العناق الذي يكاد يصدم الحس .
ويجب ان يتضح تميّز اليدين كل الوضوح .
وتبتعد موسيقى فوسكو . وتظل يدٌ نسائية (مكبّرة جداً) موضوعة على الكتف الصفراء ، بل الأصحّ ان يقال متشبثة .
وينطلق صوت رجل ، صوت هاديء أصم :
هو — لم تريْ شيئاً في هيروشيما . لم تري شيئاً .
(فيجيب صوت امرأة محجّب ، صوت أصم كذلك . ليست له رنّة) .
هي — لقد رأيت كل شيء . كل شيء .
(تعود موسيقى فوسكو إذ تتشبث يد المرأة ، مرة اخرى ، على الكتف ، ثم تتركها ، ثم تلامسها ؛ فتخلّف على هذه الكتف الصفراء أثر أظافر يد المرأة البيضاء .
كما لو أن الخمش يمكن ان يوهم بأنه عقابٌ لعبارة : كلا ، لم تري شيئاً في هيروشيما » .
ثم يعود صوت المرأة ، هادئاً ، بطيئاً ، كامداً :)
هي — فالمستشفى مثلا ، قد رأيته . انني واثقة من

ذلك . المستشفى قائم في هيروشيما ، فكيف كان لي أن أتجنب رؤيته ؟

(المستشفى ، ممرات ، سلالم ، مرضى تحتقرهم الكاميرا كل الاحتقار ، (ولا تُرى هذه الكاميرا ابداً فيما هي « ترى » المناظر) عودة الى اليد المتشبثة الآن في غير ما هوادة على الكتف الصفراء) .

هو – انك لم تري المستشفى في هيروشيما . لم تري شيئاً في هيروشيما .

(يصبح صوت المرأة بعد ذلك اكثر تجرّداً . مشاهد استعراض المتحف . ضوء شديد على المستشفى يعمي النظر . ألواح توضيحية . وثائق عن القصف بالقنبلة الـذرية . حديد مكتسَح . جلود وشعور محروقة بالشمع الخ ...)

هي – اربع مرات في المتحف ...

هو – اي متحف في هيروشيما ؟

هي – اربع مرات في المتحف بهيروشيما . لقد رأيت الناس يتنزهون . الناس يتنزهون ، متأملين ، عبر الصور ، والأبنية الجديدة ، عبر الصور ، والصور ، والأبنيـة الجديدة ، والشروح ، لعدم وجود سواها .

اربع مرات في المتحف بهيروشيما .

لقد نظرت الى الناس . نظرت أنا نفسي متأملة الحديد. الحديد المحروق . الحديد المحطم ، الحديد الذي أصبح قابلاً للانجراح ، كاللحم . رأيت كبسولات في باقات :

من كان يفكّر في ذلك ؟ جلوداً بشرية طافية ، راعشة بالحياة ما تزال ، في نضارة آلامها . احجاراً . احجاراً محروقة . احجاراً منفرجة . شعوراً مغفلـــة كانت نساء هيروشيما تجدها ساقطة كلّها عند الصباح .

وكان الحرّ شديداً في « ساحـــة السلام » . عشرة آلاف درجة في « ساحة السلام » . انني أعرفها ، حرارة الشمس في « ساحة السلام » . وكيف لي ان أجهلها ... الأمر بسيط جداً ، فالعشب ...

هو – لم تريْ شيئاً في هيروشيما . لم تريْ شيئاً .

(يظل عرض مشاهد المتحف قائماً .

ثم ابتداءً من صورة جمجمة محترقة ، تُكشف « ساحة السلام » التي تتمّم هذه الجمجمة .

واجهات من المتحف مع تماثيل محترقة .

مشاهد من الافلام اليابانية المأخوذة عن هيروشيما .

مشهد الرجل المحروق الشعر .

امرأة تخرج من الفوضى الخ ...)

هي – لقد أُعيد بناء الدور على أفضل صورة ممكنة .

وأخذت مشاهد الافلام بأفضل صورة ممكنة .

وكان الإبهام من شدة الإتقـــان بحيث ان السوّاح كانوا يبكون .

يمكن لنا طبعاً ان نستهزيء ، ولكن ما الذي يســع السائح ان يفعله ، الا ان يبكي ؟ الا ان يبكي ليستطيع

ان يحتمل هذا المشهد المريع بيننا ، وان يخرج محزوناً بما فيه الكفاية حتى لا يفقد عقله ؟ إن الناس يبقون هنا متفكّرين متأملين . وينبغي ان نستطيع القول ، في غير ما سخرية ، بأن الفرص التي تتيح للناس ان يكونوا متأملين هي فرص عظيمة دائماً . وأن الأبنية ، التي تثير البسمة احياناً ، هي خير الذرائع لهذه الفرص ... فرص التفكير والتأمل . صحيح ان المرء حين يُمنح فرصة التفكير ، مع هذا البذخ ، لا يفكر في شيء . غير أنّ هذا لا يمنع ان يكون مشهد الآخرين الذين يُفترض أنهم يفكرون هو مشهد مشجع . نعم . لقد بكيت ابداً على مصير هيروشيما .

(صورة شاملة لهيروشيما مأخوذة بعد القاء القنبلة ، « صحراء جديدة » لا شبيه لها بين صحارى العالم) .

هو — كلا . علامَ تُراك قد بكيت ؟

(عرض لمشهد « ساحة السلام » الحالية ، تحت إشعاع شمس باهرة تذكّر باشعاع القنبلة . وعلى هذا الفراغ ، يرتفع مرة اخرى صوت الرجل . الناس تائهون في الساحة الحالية . أشرطة الحوادث المأخوذة بعد ٦ آب ١٩٤٥ .

النمل والدود يخرج من الأرض .

يظل مشهد الكتفين يتخلّل الأحداث . يستأنف الصوت النسائي كلامه ، وقد أصبح مجنوناً ، بينما تظل المشاهد

ترى ، وقد أصبحت هي ايضاً مجنونة) .

هي – لقد رأيت مشاهد الأحداث .

يقول التاريخ (فهذا إذن شيء لم أخترعه) : منذ اليوم الثاني انبعثت من اعماق الارض ومن الرماد صنوف حيوانية معيّنة .

وقد صُوِّرت كلاب .

الى الابد .

لقد رأيتها .

رأيت شريط الأحداث .

لقد « رأيتها » .

احداث اليوم الاول .

وأحداث اليوم الثاني .

وأحداث اليوم الثالث .

هو (يقاطعها) – لم ترَيْ شيئاً .

(كلاب متقطعة . اشخاص . اولاد . جـــروح . اطفال محترقون يصرخون)

هي – وأحداث اليوم الخامس عشر أيضاً .

لقد غطت هيروشيما نفسها بالزهور . لم يكن في اي مكان الا زهور كانت تنبعث من الرمـــاد في نضارة عجيبة لا تعرفها الزهور حتّى الآن . انني لم اخترع شيئاً من عندي .

هو – بل اخترعت « كل » شيء .

هي – لاشيء أبداً .

فكما ان الوهم ، وهم عجز الانسان عن النسيان ، موجود في الحب ، كذلك توهمت أمام هيروشيما انني لن أنسى ابداً . ومثل ذلك في الحب .

(تقترب كماشات طبّية من عينٍ لتقتلعها . تستمر المشاهد)

هي – لقد رأيت كذلك الناجـــين ، واولئك الذي كانوا في بطون نساء هيروشيما .

(يلتفت الى المشاهدين طفل جميل . فيلاحظون فوراً انه أعور . فتاة صبية محترقة تنظر الى نفسها في المرآة . فتاة اخرى عمياء ملتوية اليدين تعزف على القيثارة . امرأة تصلّي أمام اولادها الذين يموتون . رجـــل يتلوى من عجزه عن ان ينام منذ سنوات . (كانوا يأتون بأولاده مرة في الاسبوع ليراهم)

هي – لقد رأيت الصبر والبراءة والعذوبة التي يظهرها أحياء هيروشيما لمواجهة مصيرهم الذي هو من شدة الظلم بحيث ينغلق أمامه الخيال ، بالغاً ما بلغ من الخصب .

(عودة مشهد الجسمين المتعانقين) .

هي (بصوت منخفض) – اسمع ...

انني أعرف ...

أعرف كل شيء .

ولقد استمرّ ذلك .

هو — لا شيء . لا تعرفين شيئاً .

(سحـــاب ذرّي . أناس في الشوارع يمشون تحت المطر . صيّادون أصابهم الاشعاع الذرّي . سمكة غــير صالحة للأكل . الوف من السمك غــير صالحة للأكل ومدفونة)

هي — إن النساء يوشكن ان يلدن اطفالاً مشوّهين . مسوخاً ، ولكن ذلك مستمرّ .

وان الرجال يوشكون ان يصابوا بالعقم ، ولكن ذلك مستمرّ .

إن المطر يخيف .

أمطار من رماد فوق مياه الباسيفيك .

إن مياه الباسيفيك تقتل .

وقد مات صيادون من صيادي الباسيفيك .

إن الطعام يخيف .

وطعام مدينة برمّتها يُطرح بعيداً .

انهم يدفنون طعام مدن بأكملها .

مدينة برمّتها تغضب .

مدن بأكملها تغضب .

(مناظر : مظاهرات)

هي — على من تغضب هذه المدن برمّتها ؟

إن غضب هذه المدن برمّتها ، أرادت ام لم ترد موجّه ضد عدم المساواة الذي تضعـــه بعض الشعوب

كمبدأ ، ضد شعوب اخرى ، ضد عدم المساواة الذي تضعه بعض الاجناس كمبدأ ضد اجناس اخرى ، ضد عدم المساواة الذي تضعه بعض الطبقات كمبدأ ضد طبقات اخرى .

(مواكب المتظاهرين . خُطب « بكماء » في مكبرات الصوت)

هي (بصوت منخفض) ... اسمعني .

انني مثلك اعرف النسيان .

هو — كلا ، انت لا تعرفين النسيان .

هي — انني مثلك أملك ذاكرة . وانا اعرف النسيان :

هو — كلا ، انت لا تملكين ذاكرة .

هي — حاولت انا ايضاً ، مثلك ، ان اقاوم النسيان بكل قواي . ولقد نسيت ، مثلك . مثلك تمنيت ان تكون لي ذاكرة لا تتعزّى ، ذاكرة أشباح وأحجار .

(شبح « مصوّر » على حجر يمثل ضحية مختفية من ضحايا هيروشيما)

هي — لقد ناضلت بكل قواي ، كل يوم ، ضدّ فظاعة ألاّ أفهم قطّ سبب التذكر . ومثلك ، نسيت ...

(دكاكين تمثّل نماذجها المئة طرازاً مصغّراً لـ « قصر الصناعة » ، البناء الوحيد الذي ظلّ هيكله الملتوي قائماً بعد القنبلة — والذي حُفظ على هذا الشكل منـــذ ذلك الحين . دكان مهجور . سيارة سوّاح يابانية .

سوّاح في « ساحة السلام » .

قطة تجتاز « ساحة السلام . »)

هي — لماذا تنكر الضرورة البديهية للذاكرة ؟..

(عبارات متقطعة على تصاميم هيكل « قصر الصناعة »)

هي — استمع اليّ . انــني أعرف ايضاً . ستُعاد القصة .

مئتا الف قتيل .

ثمانون الف جريح .

في تسع ثوانٍ . ان هــذه الارقام رسمية . وستُعاد القصة .

(اشجار . كنيسة . ميدان ترويض الخيل . هيروشيما وقد اعيد بناؤها . تفاحة)

هي — سترتفع الحرارة الى عشرة آلاف درجة على الارض . ويقولون عشرة آلاف شمس . وسيحــترق الزفت .

(كنيسة . اعلان ياباني)

هي — وستسود فوضى عميقة . مدينة برمتها سترتفع عن الأرض ثم تهبط رماداً ...

(رمال . علبة سجاير « بيس »[1] . نبتة كثيفــة متمدّدة على الرمل كالعنكبوت .)

هي — نباتات جديدة تنبع من الرمال ...

---

(١) كلمة انجليزية تعني « السلام » .

(اربعة طلاب « موتى » يثرثرون على حافة النهر .
النهر . البحيرات . محطات هيروشيما الجديدة .)
هي – ... اربعة طلاب ينتظرون معاً موتاً اخروياً
واسطورياً .
روافد مصبّ نهر « اوتا » تفرغ وتمتلىء في الساعة
المعتادة تماماً ، وفق الوقت والفصول . الناس قد كفّوا
عن ان ينظروا الى مدّ الماء في روافد مصب نهر « اوتا »
السبعة .
(يكفّ الصوت الراوي . شوارع هيروشيما . شوارع
ايضاً . جسور . ممرّات مسقفة . شوارع . ضاحيــة .
سكك حديدية . ضاحية . تفاهة عالمية .)
هي – ... انني ألتقي بك .
وانا اتذكّرك .
فمن انت ؟
انك تقتلني .
انك تحسن اليّ .
وأنّى لي ان اشك في أنّ هذه المدينة قد صُنعت على
مستوى الحب ؟ وأنى لي ان أشك في أنك انت قــد
صُنعت على مستوى جسمي بالذات ؟
انت تروق لي . فأيّ حدث هذا ! انت تروق لي .
أيّ تمهّل مفاجيء !
وأية عذوبة !

انك لا تستطيع ان تعرف .
انت تقتلني .
انت تحسن إليّ .
أرجوك .
افترسني .
شوّهني حتى البشاعة .
لماذا لا تكون انت ؟
لِمَ لا تكون انت في هذه المدينة وفي هذه المدينة الشبيهة بالمدن الاخرى حتى ان المرء لينسى نفسه فيها ؟
ابتهل اليك ...

★

(بشراسة شديدة ، يظهر وجه المرأة رقيقاً جداً ، ملتفتاً الى وجه الرجل)

هي – إن لك بشرة جميلة تدعو الى الجنون .

(الرجل يئن بغبطة .)

هي – انت ...

(يظهر وجه الياباني ، بعد وجه المرأة ، في ضحكة منتشية (منفجرة) لا تناسب المقام . يلتفت)

هو – انا ، نعم . كما تريني .

(يظهر الجسمان العاريان . صوت المرأة نفسه ، ما يزال محجباً ، ولكنه غير مفخّم)

هي – أأنت ياباني مئة بالمئة ، ام لا ؟

هو — تماماً . اني ياباني .

هو — إنّ لك عينين خضراوين . أليس كذلك ؟

هي — اوه ، أظنّ ... نعم .. أظن انهما خضراوان.

(ينظر اليها ، ويؤكّد على مهل)

هو — انت كألف امرأة معاً ...

هي — هذا لأنك لا تعرفني . هذا هو السبب .

هو — ربما لم يكن هذا وحده هو السبب .

هي — انه لا يسوءني ان اكـون الف امرأة معاً ، من أجلك .

(تقبّل كتفه وتدفن رأسها في ثنية هـذه الكتف . رأسها متّجه الى النافذة المفتوحـة ، نحو هيروشيما ، في الليل . يمرّ رجل في الشارع وهو يسعل . (انه لا يُرى ، بل يُسمع فقط) تنهض .

هي — إسمع ... انها الساعة الرابعة ...

هو — لماذا ؟

هي — لا أعرف من هو . إنه يمرّ كل يوم عنـد الساعة الرابعة . ويسعل .

(صمت . يتبادلان النظر)

هي — وهل كنت انت فيها ، هيروشيما ؟...

(يضحك ، كما لو انه كلام أطفال)

هو — كلا ... طبعاً .

(تلامس كتفه العارية مرة اخرى . هذه الكتف هي

جميلة حقاً . لم تمسّ .)

هي — اوه ... صحيح .. إنني بلهاء !

(تكون مبتسمة تقريباً . ينظر اليها فجأة ، بجاداً ومتردداً ، ثم ينتهي الى ان يقول لها :)

هو — إن اسرتي كانت في هيروشيما . اما انا فكنت في ساحة الحرب .

(تكف حركتها على الكتف . وتسأله هذه المرة في خجل ، وهي باسمة)

هي — من حسن الحظ ، اليس كذلك ؟

(ينزع عنها بصره ، ويبدو وكأنه يزن الامور)

هو — نعم .

(تضيف هي ، بلطف وتأكيد)

هي — من حسن حظي انا ايضاً .

(فترة)

هو — لماذا انت في هيروشيما ؟

هي — فيلم .

هو — ماذا ، فيلم ؟

هي — أمثل في فيلم .

هو — وقبل ان تكوني في هيروشيما ، اين كنت ؟

هي — في باريس .

(فترة اخرى ، أطول)

هو — وقبل ان تكوني في باريس ؟

هي – قبل ان اكون في باريس؟.. كنت في « نيفر »

هو – نيفر ؟

هي – مدينة في مقاطعة « نيافر » . لا تعرفها .

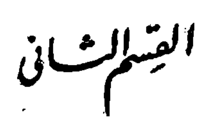
(فترة . يسأل كما لو أنه اكتشف صلةً بين هيروشيما ونيفر :)

هو – ولماذا كنت تريـــدين ان تري كل شيء في هيروشيما ؟

(تبذل جهداً لتقول الصدق)

هي – كان ذلك يهمني . إن لي فكرة في الموضوع . فانت ترى مثلاً أن إمعان النظر يعلّم الإنسان ، على ما أعتقد .


Twitter: @alqareah


القسم الثاني


Twitter: @alqareah

(يمرّ في الشارع قطيع من الدراجات تسير ملء عجلاتها في ضجة ترتفع وتنخفض .

انها في متزر الحمام واقفة على شرفة غرفة الفنـدق .
انها تنظر اليه ، وهي تحمل في يدها فنجان قهوة .

وهو ما يزال نائماً ، متشابك الذراعين ، متمدداً على بطنه ، عارياً حتى النطاق .

انها تنظر بكثافة غير طبيعية الى يديه اللتين ترتعشان على مهل ، كما ترتعش ايدي الاطفال احياناً في النوم .
إن يديه جميلتان جداً ، رجوليتان جداً .

وبينما هي تنظر الى يديه ، يظهر فجأة مكانَ الياباني جسم رجل شاب ، في الوضع نفسه ، ولكنه مسجى على حافة نهر ، في وضح الشمس . (الغرفة في الظل) هذا الشاب يحتضر . ويداه جميلتان جداً كذلك ، تشبهان يدي الياباني شبهاً عجيباً . وهما تنتفضان انتفاضة الاحتضار لا يُرى الثوب الذي يرتديه هذا الرجل ، لان امرأة فتية

متمدّدة فوق جسده ، وفمها على فمه . والدمع الذي يسيل من عينيها يمتزج بالدم الذي يسيل من فمه .

وتلك المرأة مغمضة العينين ، في حين ان الرجل الذي تتمدّد فوقه ثابت النظرات من الاحتضار .

الصورة تستمر وقتاً قصيراً جداً .

اما هذه المرأة فجامدة في وضعها ، وهي مستندة الى النافذة . ويستيقظ هو . ويبتسم لها . وهي لا تبتسم له على الفور . وتظل تنظر اليه بتنبه ، من غير ان تبدّل موقفها . ثم تحمل له القهوة .)

هي — أتريد قهوة ؟

(فيهز رأسه بالايجاب . ويأخذ الفنجان . فترة)

هي — بمَ كنت تحلم ؟

هو — لم أعد اذكر ... لماذا ؟

(تستعيد طبيعتها الرقيقة ، اللطيفة جداً) .

هي — كنت أنظر الى يديك . انهما تتحركان حين تنام .

(ينظر الى يديه بدوره ، في دهشة، ويحاول ان يحرّك أصابعه)

هو — قد يحدث هذا ، حين يحلم المرء ، من غير ان يعرف .

(بهدوء ولطف تشير له إشارةً ارتيابية)

هي — هِيمْ ، هِيم .

★

(انهما معاً تحت دوش غرفة الفندق . وهما جذلان .
يضع يده على جبينها ، بحيث يقلب لها رأسها الى
الوراء .)

هو — أتعلمين انك امرأة جميلة ؟

هي — أترى ذلك ؟

هو — نعم ، أرى .

هي — متعَبة قليلاً ، أليس كذلك ؟

(يأتي بحركة على وجهها تغضّنه . ويضحك)

هو — قبيحة بعض الشيء .

(تبتسم وهو يلامسها)

هي — وهل في ذلك بأس ؟

هو — هذا ما لاحظته مساء أمس في هذا المقهى .
قبحك . ثم لاحظت ...

هي (مسترخية) — ثم ماذا ؟..

هو — ثم لاحظت كيف كنت ضجرة .

(حركة فضول منها تجاهه)

هي — حدّثني اكثر من ذلك ...

هو — كنتِ ضجرةً بطريقة توحي الى الرجال
بالرغبة في ان يعرفوا امرأة .

(تبتسم وتخفض عينيها)

هي — انت تتكلم الفرنسية جيداً .

(بلهجة مرحة)

هو ــ أليس كذلك ؟ يسرّني أن تلاحظي اخيراً كم اجيد التكلم بالفرنسية .

(فترة)

هو ــ انا لم الاحظ انك لا تتحدثـــين باليابانية أتُـراك قد لاحظت ان الناس يلاحظون الاشياء دائماً في الاتجاه نفسه ؟

هي ــ لا . لقد لاحظتك انت . هذا كل شيء .

(ضحك)

★

(بعد الحمام . هي تأكل تفاحة ، وشعرها مبلّل ، وهي في البرنس ، واقفة على الشرفة ، تنظـــر اليه ، وتتمطّى ، وتقول ، كأنما لتضع النقاط حول « وضعها » ، تقول على مهل وفي تلمّظ للكلمات :

هي ــ « ان يتعرف المرء الى نفسه في هيروشيما » . هذا ما لا يُتاح كل يوم .

(يخرج الى لقائها على الشرفة ، فيجلس قبالتها ، وقد ارتدى ثيابه (قميص مفتوح الياقة) وبعد تردّد ، يسألها :)

هو ــ ماذا كانت هيروشيما بالنسبة اليك في فرنسا ؟

هي ــ نهاية الحرب ، أعني ، تماماً . الذعر .. من ان يجرؤوا ، والذعر من ان يكونوا قـــد نجحوا ... ثم

كانت في نظرنا ايضاً بدء خوف لم نعرفه . ثم كانت
اللامبالاة ، وخوف اللامبالاة ايضاً ...

هو – وأين كنتِ انت ؟

هي – كنت قد تركت نيفر الى باريس . كنت في الشارع .

هو – إن « نيفر » كلمة فرنسية جميلة .

(لا تجيب فوراً)

هي – انها كلمة كالكلمات الاخرى . كالمدينة .

(تبتعد) .

★

(هو جالسٌ على السرير ، يشعل سيكارة وينظر اليها بامعان . وينطبع عليه ظلها وهي ترتدي ثيابها . ويسألها)

هو – هل عرفت كثيراً من اليابانين في هيروشيما ؟

هي – آه ، نعم ، عرفت بعضهم ... اما مثلك ... (ببداهة) فلا ...

(يبتسم . غبطة)

هو – أانا يابانيٌ حياتك الاول ؟

هي – نعم .

(يسمع ضحكها . تظهر فيما هي تتم ارتداء ثيابها وتقول بوضوح :)

هي – هيـ – رو – شيـ – ما . يجب ان اغمض عيني حتى أتذكّر ... أقصد كيف كنت ، في فرنسا ، قبل ان اجيء الى هنا ، أتذكّر هيروشيما . انها دائماً المشكلة نفسها ، مع الذكريات .

(يخفض عينيه ، وهو هادىء جداً)

هو – كان العالم كله فـَرِحاً . وكنت فـَرِحةً مع العالم كله .

(يتابع باللهجة نفسها)

هو – لقد سمعت انه كان يوماً صيفياً جميلاً في باريس ، ذلك اليوم ، اليس كذلك ؟

هي – نعم ، كان الطقس جميلاً .

هو – وكم كان عمرك ؟

هي – عشرون عاماً . وانت ؟

هو – اثنان وعشرون عاماً .

هي – العمر نفسه . تقريباً ؟

هو – بالاجمال ، نعم .

(تظهر مرتدية كل ثيابها ، بينما هي تسوّي قبعة التمريض التي تلبسها (لأنها تظهر بلباس ممرضات الصليب الأحمر) تنحني بالقرب منه في حركة مفاجئة ، وتأخذ في مداعبة يده ، وتقبل ذراعه العارية . ينعقد حديث عادي .)

هي – ما الذي تفعله انت ، في الحياة ؟

هو – هندسة معمارية . وسياسة ايضاً .

هي – آه ، لذلك تتكلم الفرنسية جيداً ؟

هو – نعم . لكي أقرأ الثورة الفرنسية .

(يضحكان . وهي لا تدهش . وكل توضيح يقوم به عن السياسة مستحيل تماماً ، لأنه سرعان ما سيحمل طابعاً معيناً . ثم انه سيكون ساذجاً . على انه ينبغي الاّ ينسى المشاهد ان رجلاً يسارياً فقط يمكن ان يقول ما قاله . فليدرك المشاهد ذلك ، لا سيما بعـــد حديثه عن هيروشيما .)

هو – ما هو الفيلم الذي تمثّلين فيه ؟

هي – فيلم عن السلام . ماذا تريدهم ان يصوّروا في هيروشيما اذا لم يصوّروا فيلماً عن السلام ؟

(يمرّ قطيع من الدراجات الصاخبة)

هو – أودّ أن أراك مرة اخرى .

(تومىء برأسها ان لا)

هي – في مثل هذه الساعة ، غداً ، أكون قد سافرت الى فرنسا .

هو – صحيح ؟ انك لم تقولي لي ذلك .

هي – صحيح . (فترة) لم تكن ثمة ضرورة لأن أقول لك .

(يصبح رصيناً في دهشته)

هو – من أجل هذا تركتني أصعد الى غرفتك مساء

امس ؟ لأنه كان آخر يوم لك في هيروشيما ؟

هي – على الاطلاق . انني لم افكر بذلك .

هو – حين تتكلمين ، أتساءل اذا كنت تكذبين او تقولين الحقيقة .

هي – أكذب . واقول الحقيقـة . ولكن بالنسبة اليك ، ليس لديّ ما يدعوني الى الكذب . فلماذا ؟...

هو – قولي لي ... أتحدث لك غالباً مثل هذه ... القصص ؟

هي – ليس غالباً . ولكن يحدث لي ذلك احياناً . انني احب الشبان .

(فترة)

هي – انني ، لو تعلم ، ذات اخلاقية شاكّة .

(تبتسم)

هو – ماذا تعنين بأخلاقية شاكّة ؟

(لهجة خفيفة جداً)

هي – أشكّ بأخلاق الآخرين .

(يضحك كثيراً)

هو – اودّ ان اراك ثانية . حتّى ولو كانت الطائرة متقلع صباح الغد . وحتّى ولو كنت ذات اخلاقية شاكّة .

(فترة ، هي فترة الحب العائد)

هي – كلا .

هو – لماذا ؟

هي — هكذا . (منزعجة)
(يكفّ هو عن الكلام)
هي — الا تريد ان تكلمني بعد ؟
هو (بعد فترة) — اريد ان اراك ثانية .

★

(انهما في ممر الفندق)
هو — الى اين تذهبين في فرنسا ؟ الى نيفر ؟
هي — لا ، بل الى باريس . (فـــترة) انني لا اذهب بعد الى نيفر ابداً .
هو — ابداً ؟
(يكزّ وجهها إذ تجيب)
هي — ابداً . إن نيفر مدينة تخيفني .
(وتضيف)
هي — في نيفر كنت شابة .
هو — شابة — في — نيفر .
هي — نعم . شابة في نيفر . ومرة اخرى ، كنت مجنونة في نيفر .

★

(انهما امام الفندق ، يتمشيان . هي تنتظر السيارة التي ستأتي لتحملها الى « ساحة السلام » . هناك اشخاص قليلون . ولكن السيارات تمرّ بلا توقف . انها جادّة .

حوار بصوت مرتفع بسبب ضجيج السيارات)
هي – ان نيفر هي ، لو تعلم ، المدينة التي تستأثر في الليل بكل أحلامي . وهي كذلك اقل شيء افكر فيه.
هو – كيف كان جنونك في نيفر ؟
هي – إن الجنون ، هو ، لو تعلم ، كالذكاء . فليس بالامكان شرحه . كالذكاء تماماً . إنه يهبط عليك فيملأك واذ ذاك يكون مفهوماً . اما حين يتركك ، يكفّ عن ان يكون مفهوماً .
هو – هل كنت شرسة ؟
هي – ذلك كان جنوني . كنت مجنونة من الشراسة . وكان يخيل إليّ ان بوسع الانسان ان يتخذ له مهنة حقيقية في الشراسة . لم يكن شيء يعني لي شيئاً ما عدا الخبث. أتفهم ؟
هو – نعم ..
هي – صحيح ان هذا ايضاً ينبغي ان تفهمه .
هو – ولم يَعُد ذلك اليك قط ؟
هي – كلا . لقد انتهى (بصوت منخفض)
هو – في اثناء الحرب ؟
هي – بعد الحرب مباشرة .
(فترة)
هو – وهل كان ذلك جزءاً من صعوبات الحياة الفرنسية بعد الحرب ؟

هي – نعم . بوسعنا ان نقول كذلك .

هو – ومتى زال الجنون عندك ؟

(بصوت منخفض جداً ، كما لو أن ذلك ينبغي ان يقال)

هي – رويداً رويداً ، زال . ثم امحى بالضرورة ... حين رزقت اولاداً .

(ضجيج السيارات الذي يرتفع وينخفض بصورة عكسية لخطورة الكلمات)

هو – ماذا تقولين ؟ (قالها بصوت مرتفع ، كما لو ان ذلك لا يمكن ان يقال)

هي – اقول ان ذلك قد زال رويداً رويداً ، ثم حين رزقت اولاداً ... بالضرورة ...

هو – اودّ كثيراً لو أبقى معاك بضعة ايام ، في مكان ما ، ذات مرة .

هي – وانا ايضاً .

هو – ان القاك اليوم مرة اخرى ، لا اعتبر ذلك لقاء آخر . ففي مثل هذا الوقت القصير لا يكون اللقاء الثاني لقاء . اودّ كثيراً .

هي – لا .

(تقف امامه ، مصدومة ، جامدة ، صامتة . ويكاد هو يستسلم)

هو – حسناً .

(تضحك ضحكة مغتصبة ، تسجل حزناً صغيراً
غاضباً ، ولكنه حقيقي . تصل السيارة)

هي — ذلك لأنك تعلم اني مسافرة غداً .

(يضحك معها ، ولكن اقل منها . وبعد فترة)

هو — من الممكن ان يكون ذلك بسبب هذا
ايضاً . ولكن التفكير بأني لن اراك مرة اخرى ، ابداً.
بعد بضع ساعات : اليس ذلك سبباً وجيهاً ؟

(تصل السيارة وتقف عند ملتقى الطرق . تومىء
اليها بأنها قادمة . تنتظر قليلاً ، وتنظر الى الياباني وتقول :)

هي — لا .

(يتبعها بنظره . وربما ابتسم)

القسم الثالث


Twitter: @alqareah

(الساعة الرابعة بعد الظهر ، في « ساحة السلام »
بهيروشيما . في البعيد ، يبتعد فريق من التكنيكيين السينمائيين
وهم يحملون آلة تصوير ومصابيح وشاشات عاكسة .
عمال يابانيون يفكّون المسرح الرسمي الذي استعمل إطاراً
لأخذ آخر مشاهد الفيلم .

ملاحظة هامة : إن المشاهد يرى التكنيكيين دائماً في
البعيد ولا يعرف ابداً ما هو للفيلم الذي يخرجونه عن
هيروشيما . إنه لا يرى منه الا الديكور الذي يُفكّ تدريجياً.
كل ما يمكن ان يعرف منه ، قد يكون عنوانه .

فهناك عمّال يحملون لوحات باللغات المختلفة ، باليابانية
والفرنسية والالمانية الخ ... « لا هيروشيما بعد الآن »

فالعمال مشغولون إذن بفكّ الطاولات الرسمية ونزع
الرايات . وفي هذا الديكور ، تُرى الفرنسية من جديد .
انها نائمة وقبعة التمريض التي ترتديها مائلة على رأسها
هي متمددة، مسندة رأسها عند جذع لوحة كبيرة استعملت

في الفيلم .

يفهم المشاهد ان فيلماً ذا مغزى قد أخذ في هيروشيما عن السلام . ليس هو بالضرورة فيلماً مضحكاً ، وانما هو بكل بساطة فيلم ذو عبرة . الجمع يلمّ بالساحة التي صوّر فيها الفيلم ، وهو جمع لا مبال . فباستثناء بضعة اولاد ، لا يتطلع الناس الذين اعتادوا ان يروا في هيروشيما افلاماً تؤخذ عن هيروشيما .

وفي هذه الاثناء ، يمرّ رجل ، فيقف وينظر . إنه هو الذي تركناه منذ برهة في غرفة الفندق الذي تسكنه الفرنسية .

وسوف يقترب الياباني من الممرضة ، وينظر اليهـا وهي نائمة . ونظرة الياباني اليها هي التي تنتهي بايقاظها بعد ان ثقلت عليها مدة طويلة قبل ذلك .

قد تُرى في اثناء المشهد بعض المناظر ، في البعيد ، من مثل نموذج « لقصر الصناعة » ودليل يحيط به سواح يابانيون ، وزوجين من مشوّهي الحرب في ثياب بيضاء يمدّان جذعيهما للاستعطاء ، واسرة في زاويـة الشارع تثرثر ...

وتستيقظ هي ، ويتلاشى تعبها . ونعـود الى قصتها الشخصية دفعة واحدة . وهذه القصة الشخصيـة ستطغى دائماً على قصة هيروشيما التي هي تدليلية بالضرورة .

وتنهض فتتجه اليه . ويضحكان ولكن من غير مبالغة.

ثم يستعيدان رصانتهما .

هو – كان من السهل العثور عليك مرة اخرى في هيروشيما .

(تضحك ضحكة سعيدة .

فترة . ينظر اليها من جديد . يمرّ بينهما عاملان او اربعة يحملون صورة مكبرة تمثّل تصميم الأمّ الميتة والطفل الذي يبكي ، في انقاض هيروشيما التي ينبعث منها الدخان وهي صورة مأخوذة من فيلم « اطفال هيروشيما . » هما لا ينظران الى الصورة التي تمرّ . تمرّ صورة اخرى تمثل انشتاين وهو يمدّ لسانه . انها تتبع مباشرة صورة الطفل والأم .

هو – أهو فيلم فرنسي ؟

هي – كلا . عالمي . عن « السلام » .

هو – هل انتهى ؟

هي – بالنسبة لي ، نعم ، انتهى . ستؤخذ مشاهد الجموع ... هناك افلام دعائية عن الصابون ... فمن الممكن ...

(انه على يقين وثقة من مفهومه حول هذا الموضوع)

هو – نعم . هنا في هيروشيما ، لا يسخر الناس من الافلام التي تتناول موضوع السلام .

(يلتفت اليها . تكون الصور قد مرّت كلها . يقترب أحدهما من الآخر بصورة غريزية . تسوّي قبعتها التي

كانت قد مالت في اثناء نومها .)

هو – هل انت متعبة ؟

(تنظر اليه بطريقة مثيرة ورقيقة في الوقت نفسه .
تقول ببسمة مؤلمة ، واضحة :)

هي – مثلك .

(ينظر اليها نظرة ذات معنى ويقول)

هو – لقد فكرت في نيفر بفرنسا .

(تبتسم . يضيف)

هو – وفكرت فيك .

(ويضيف ايضاً)

هو – ألا تزال طائرتك مصمّمة .. غداً ؟

هي – أجل ، غداً .

هو – غداً بكل تأكيد ؟

هي – نعم . لقد تأخر الفيلم . انهم ينتظرونني في باريس منذ اكثر من شهر .

(تنظر اليه مواجهة . ينزع عن رأسها قبعة الممرضة على مهل ، وبحركة مثيرة ، فتخفض عينيها وتعبث بشيء ما في الارض . وحين ترفـع اليه عينيها من جديد يقول :)

هو – لشدّ ما تمنحينني الرغبة في الحب !

(فلا تجيبه على الفور ، بل تخفض مرة اخرى عينيها تحت تأثير الاضطراب الذي تخلّفـه كلماته في نفسها .

قطّة « ساحة السلام » تعبث بقدمها . ثم تقول وهي ما تزال مطرقة الى الارض ، بهدوء وبطء شديدين)

هي — دائماً ... حب اللقاء العابر ... وانا ايضاً ...

(تمر بينهما آلة من آلات التصوير فلا يهتمان بها)

هو — كلا . لا يحدث ذلك دائماً بمثل هذا العنف ، انت تعرفين هذا .

(يسمع صراخ في البعيد ، ثم أناشيد أطفال ، فلا يصرفها ذلك عما هما فيه . ترفع عينيها الى السماء هذه المرة . وتقول بصورة غامضة ، بينما تمسح العرق عن جبينها)

هي — يقال إن العاصفة ستثور قبل هبوط الليل .

*

(مشهد للسماء التي تراها ، سحاب يتدافع . يتضح الغناء ، ثم يبدأ العرض . يتقهقران ، وتقف هي الى جانبه واضعة يدها على كتفه ، فيكون وجهه بازاء شعرها ، وتراه فوراً حين ترفع بصرها . يحاول ان يجذبها بعيداً عن العرض ، فتقاوم . ولكنها تبتعد معه ، وكأنها غير شاعرة بذلك . غير انها تقف مسحورة امام الاولاد .

صفوف من الشبان يحملون اللوحات :

سلسلة اللوحات الاولى — سلسلة اللوحات الثانية

اللوحة الاولى — ١

اذا كانت القنبلة الذرية تساوي — هذه النتيجة الهائلة تشرّف

٢٠ الف قنبلة عادية   الذكاء العلمـي للانسان

اللوحة الثانية   ٢

واذا كانت القنبلة الهيدروجينية تساوي ١٥٠٠ قنبلة ذرية

ولكن مما يؤسف له ان يكون الذكاء السياسي للانسان ادنى مئة مرة من ذكائه العلمي

اللوحة الثالثة

فكم تساوي الاربعون الف قنبلة
ذرية وهيدروجينية المصنوعة
حالياً في العالم ؟

اللوحة الرابعة   ٣

اذا القيت عشر قنابل هيدروجينية على العالم، اصبحنا في عهدما قبل التاريخ

فيحرمنا الى هذا الحد من تقدير الانسان

اللوحة الخامسة

فماذا تكون نتيجة ٤٠ الف قنبلة
هيدروجينية وذرية ؟

سلسلة اخرى من اللوحات

اللوحة الاولى

(صورة جماعة من النمل :
« نحن لا نخشى القنبلة الهيدروجينية »)

اللوحة الثانية

(هذه هي صرخة ١٢٠ مليون
نقابي في اوروبا)

اللوحة الثالثة

(هذه صرخة ١٠٠ الف
جثة متناثرة في هيروشيما .)

✱

(نساء ورجال يتبعون الاطفال الذين يغنون . كلاب تتبع الاولاد . قطط على النوافذ ، امـــا قطة « ساحة السلام » فقد اعتادت ذلك ، فهي نائمة قريرة العين) لوحات . ولوحات . الجميع يشعرون بالحرارة الشديدة . السماء مظلمة فوق المتظاهرين . الشمس يخفيهـــا الغمام . الاولاد كثيرون ، على قسط وافر من الجمال . انهـــم يشكون الحرّ ويغنّون برضى الطفولة . يدفـــع الياباني الفرنسية ، على غير ما ارادة ، في اتجاه معاكس لوجهة المتظاهرين . حين ترى الفرنسية الاولاد ، تغمض عينيها وترسل أنيناً رقيقاً . فيقول الياباني بسرعة ، في اثناء هذا الأنين :)

هو — لا احبّ ان افكر بذهابك غداً . أعتقد اني أحبك .

(يستمر انين الفرنسية بحيث يوهم بأنه أصبح أنين الإرهاق الغرامي . الياباني يدفن فمه في شعرها ، يأكل شعرها ، بصورة حذرة . تشدّ اليد على الكتف . وتفتح عينيها على مهل . يستمر العرض . ولدان يتنازعان برتقالة ،

ويبدو عليها الغضب)

هو – كم هم متشابهون ، أطفال هيروشيما !

(يتبادلان النظر ، بطريقة عفوية)

هو – ستأتين معي مرةً أخرى .

(فلا تجيب . تمر امرأة يابانية رائعة ، جالسة على شاحنة ، يتطاير من صدرها حمام ابيض)

هو – أجيبيني .

(فلا تجيب . يميل على اذنها :)

هو – هل انت خائفة ؟

(فتبتسم ، وتوميء برأسها ان « لا »)

هي – لا .

(ترى القطط الحمام الذي يطير من صدر اليابانية ، فتهتاج . تستمر أغاني الاطفال الناشزة . معلّمة توبّخ الولدين اللذين يتنازعان البرتقالة . الكبير يأخذ البرتقالة ، فيبكي الصغير . يبدأ الكبير في التهام البرتقالة .

خلف الصبي الذي يبكي ، يصل خمسمئة طالب ياباني ، مما يخلّف التعب والإرهاق . فاذا به يشدها اليه بقوة ، وتمر في عيونهما نظرة ضيق . وينبغي ان يشعر المشاهد بأن هذا العرض الجديد يسلبهما الوقت الباقي قبل سفرها . ويكفّان عن الكلام . ويسحبها من يدها ، فتنساق اليه ، ويضيعان عن النظر .

★

(اونلقاهما من جديد واقفين وسط غرفة كبيرة في بيت ياباني . الستائر مسدلة . الضوء رقيق . شعور بالرطوبة بعد حرارة العرض . البيت عصري ... الفرنسية واقفة هناك كأنها مدعوة ، وهي توشك ان تكون خائفة . يقبل هو عليها من أعماق الغرفة فيقول :)

هو — اجلسي .

(لا تجلس . يظلان واقفين . يشعر المشاهد أن سورة الغرام قد انطفأت لديهما في تلك اللحظة . هو واقف تجاهها ، ويكاد يكون مرتبكاً . ولكي تقول شيئاً تسأله :)

هي — انت وحدك في هيروشيما ؟ ... اين هي زوجتك ؟

هو — انها في قرية « انزن » وانا وحدي .

هي — ومتى تعود ؟

هو — في هذه الأيام .

(تتابع بخفوت ، كأنها تحدث نفسها)

هي — وكيف هي ، زوجتك ؟

(يقول وهو ينظر اليها ، بلهجة تدل على انه لا يعطي الجواب المطلوب)

هو — جميلة . انني رجل سعيد مع زوجتي .

(فترة)

هي — وانا ايضاً ، امرأة سعيدة مع زوجها .

(يقال هذا الكلام في انفعال حقيقي ما تلبث ان تغطيه اللحظة الجارية. يدق جرس التلفون آنذاك ؛ فيقترب منها فجأة ، ويجدها مقبلة عليه)

هي – انت لا تعمل بعد الظهر ؟

هو – بلى . أعمل كثيراً ، ولا سيما بعد الظهر ؛

هي – تلك قصة حمقاء اذن ...

(تقول ذلك كأنها تقول « احبك » ، فيتبادلان قبلة بينما يظل التلفون يدق فلا يجيب عليه)

هي – أمن أجلي تضيّع بعد ظهر هذا اليوم ؟

(لا يجيب)

هي – ولكن قلها . فماذا في الجواب على ذلك ؟

*

(في هيروشيما تغيّر الضوء في غرفته)

هو – أكان فرنسياً ، ذلك الذي أحببته في اثناء الحرب ؟

(في نيفر . ألماني يعبر ساحة ، عند الشفق)

هي – كلا ... لم يكن فرنسياً .

(في هيروشيما . انها متمددة على سريرها في نشوة الحب . الظلام يزداد)

هي – نعم . كان ذلك في نيفر .

(في نيفر ، صور سريعة عن لقاء غرامي في نيفر .

تركب هي الدراجة لتذهب الى لقاء حبيبها في الغابة ، بين الانقاض الخ ...)

هي — لقد التقينا اولاً في مستودعات الحبوب . ثم بين الخرائب . ثم في الغرف . كما يحدث ذلك في كل مكان .

(في هيروشيما ، يزداد الظلام في الغرفة . يبدوان متعانقين بهدوء)

هي — ثم مات .

(في نيفر . صور نيفر . أنهار . أرصفة . أشجار حور في الريح الخ ... الرصيف المقفر . الحديقة ... نعود الى هيروشيما . يظهران في الظلام)

هي — كنت انا في الثامنة عشرة ، وهو في الثالثة والعشرين .

(في نيفر ، في كوخ ، « زواج » نيفر ، ليلاً — تكتفي هي ، حين تمرّ صور نيفر ، بأن تجيب على الاسئلة التي يطرحها عليها هو والتي تُسمع فحسب . وتسأله بهدوء)

هي — لماذا التحدث عنه ، وليس عن الآخرين ؟

هو — ولِمَ لا ؟

هي — كلا . لماذا ؟

هو — بفضل نيفر ، أستطيع فقط ان أبدأ بمعرفتك تماماً . ومن بين الوف الاشياء والاشياء في حياتك ، اوثر

ان أختار نيفر .

(تقول وكأنها لم تصدقه)

هي — لا . ليس ذلك من قبيل الاعتباط . (فترة) يجب ان تقول لي السبب .

هو — يبدو لي اني فهمت انك انما بدأت هناك تكونين ما عليه انت اليوم .

(مشاهد نيفر تُعرض مرة اخرى ، وهي تافهة ، ولكنها مخيفة)

*

(عودة اليهما للمرة الاخيرة . الظلام مخيّم . تقول صارخة :

هي — اريد ان أذهب من هنا .

(وفي الوقت نفسه تبدو وهي متشبثة به في وحشية)

(وبعد فترة يبدوان في الغرفة وقد ارتديا ثيابهما . غرفة مضاءة . وهما واقفان . يقول بهدوء :)

هو — لم يبق لنا الآن الا ان نقتل الوقت الذي يفصلنا عن موعد سفرك . بقي ست عشرة ساعة لطائرتك .

(تقول وقد جُنَّ عقلها من الضيق)

هي — هذا فظيع ...

(فيجيب بهدوء)

هو — لا . يجب ألاّ تخافي .

القسم الرابع


Twitter: @alqareah

(على النهر في هيروشيما ، يهبط الليل في موجات طويلة مضيئة . ويفرغ النهر ويمتليء وفقاً للساعات والمدّ والجزر . ينظر بعض الاشخاص أحياناً الى مدّ الماء على الجروف الموحلة .

يقوم قبالة النهر مقهى . مقهى عصري متأمرك ذو بحيرة كبيرة . والذي يجلس في داخل المقهى لا يرى ضفاف النهر ، وانما يرى النهر فقط . هناك يبدو المصبّ ، وتنتهي هيروشيما ليبدأ الباسيفيك . المكان خال الى نصفه . هما جالسان أمام طاولة في داخل القاعة ، وجهاً لوجه .

وكنا قد تركناهما في الضيق الذي تخلّفه الساعات الست عشرة التي تفصلهما عن انفصالهما النهائي . اما الآن ، فهما سعيدان تقريباً . ويمرّ الوقت من غير أن يشعرا به . وتحدث معجزة . فما هي ؟ هي « انبعاث » نيفر من جديد . وأول شيء يقوله ، في ذلك الوضع العاطفي :)

هو — هل تعني كلمة « نيفر » شيئاً في الفرنسية ؟
هي — لا . لا تعني شيئاً .
هو — أتراك كنت تبردين في ذلك الكوخ بنيفر لو أن الحب جمعنا ؟
هي — نعم . كنت أبرد ؛ ان الأكواخ في نيفر باردة ، صيفاً وشتاء . فالمدينة تتراكب بيوتها على طول نهرٍ يسمى نهر اللوار .
هو — لا أستطيع أن أتخيّل نيفر .
(صور نيفر ونهر اللوار)
هي — نيفر . أربعون الف نسمة . مبنيّة على طراز عاصمة . ولكن صبياً يستطيع ان يطوف بهـا . (تبتعد عنه) لقد ولدت في نيفـر (تشرب) وترعرعت في نيفر . وتعلمت القراءة في نيفر . وهناك بلغت العشرين .
هو — واللوار ؟
(يأخذ رأسها بين يديه — مشاهد اخرى من نيفر .)
هي — انه نهر لا ملاحة فيه ، بسبب مجراه غـير المنتظم ورموله . ويعتبر اللوار في فرنسا نهراً جميـلاً جداً ، بسبب إشراقه قبل كل شيء .. إشراق عذب ، لو كنت تعلم .
(لهجة نشوى ، يترك رأسها ، ويصغي بتنبّه)
هو (متلبّساً شخصية الألماني) — حين كنتِ في الكهف ، كنتُ ميتاً ؟

هي — كنت ميتاً ... و ...

(نيفر : الالماني يحتضر بهدوء على المحطة)

هي — كيف يكون احتمال مثل ذلك الألم ؟

هو — هل الكهف صغير ؟

هي — صغير جداً ... (تتذكّر كل ماضيها في ذلك الكهف) نشيد المارسيلياز يمرّ فوق رأسي .. انه يُطمئنني (تسدّ أذنيها ، وتعود صورتها وهي في كهف نيفر ، دامية اليدين) إن الايدي تصبح بلا فائدة في الكهوف . فهي تحك الجدران حتى تدمى (صورة يدين داميتين في نيفر ، بينما تظل يداها هنا ، في هيروشيما ، سليمتين بالطبع)

(يكون اسمها في نيفر « ريفا » وهو اسمها الحقيقي الذي لا يُلفظ في مشاهد هيروشيما . وريفا تلحس دمها في نيفر ، دم يديها المخضبتين ..)

هي — هذا كل ما يمكن ان يجده المرء ليُحسن الى نفسه ... وليتذكّر ... لقد احببت الدم منذ ذقت دمك (تخاطب الألماني من خلال الياباني ، بينما هما يتابعان النظر الى مشاهد نيفر ، فيبدوان وكأنهما مأخوذان . على الطاولة قدحان . تشرب بشراهة . أما هو فيشرب على مهل . أيديهما موضوعة على الطاولة . عودة الى نيفر)

هي — إن المجتمع يتدحرج على رأسي ، بدلاً من السماء ... بالضرورة ... إنني اراه يسير ، ذلك المجتمع.

يسير بسرعة اثناء الاسبوع ، ويبطء يوم الأحد . وهذا المجتمع لا يعرف أني في الكهف ، فقد اخبروه بأني قد مُتّ ، متّ بعيداً عن نيفر . وذلك ما كان يفضّله أبي . لأن العار قد لحقني . كان ابي يفضّل ان يقول إني قد متّ .

(نيفر : أبٌ صيدلي ، خلف واجهة صيدليته)

هو — وهل تصرخين ؟

(غرفتها في نيفر)

هي — كلا ، لا أصرخ في باديء الأمر . وانما انا أناديك برقّة .

هو — ولكني ميت .

هي — ومع ذلك أناديك . حتّى وانت ميت . ثم فجأة ، ذات يوم ، أصيح وأصرخ بشدّة كأنّني صماء . واذ ذاك يضعونني في الكهف . عقاباً لي .

هو — وبمَ تصرخين ؟

هي — بأسمك الألماني . اسمك فقط . ليست لي بعد إلاّ ذاكرة واحدة ، ذاكرة اسمك .

(غرفتها في نيفر ، صراخ صامت)

هي — وأعدهم بألاّ أصيح بعد . فيعيدونني الى غرفتي .

(غرفتها في نيفر ، مضطجعة ، مرفوعة الساق ، شوقاً الى اللذة)

هي – لم أعد احتمل شوقي الى ضمّك .
هو – وهل انت خائفة ؟
هي – انني خائفة في اي مكان . في الكهف . في الغرفة .
هو – وممّ تخافين ؟
(لطخات في سقف غرفتها في نيفر . أشياء تثير الذعر في نيفر)
هي – خائفة من اني لن اراك بعد ابداً ، ابداً .
(يتقاربان من جديد ، كما في اول المشهد)
هي – كنت ذات يوم في العشرين . وكنت في الكهف. لقد جاءتني امي تقول لي اني بلغت العشرين (فترة ، كأنما تتذكر) وتبكي امي .
هو – وتبصقين في وجه أمك ؟
هي – نعم .
(كما لو كانا يعلمان معاً هذه الأشياء . ينفصل عنها)
هو – إشربي .
هي – نعم .
(يمسك القدح ، ويجعلها تشرب . ومن فرط التذكّر تبدو شرسة شاردة . وفجأة تقول)
هي – وبعد ذلك ، لا اعرف شيئاً . لا أعرف شيئاً بعد .
(ويقول هو تشجيعاً لها وإلهاماً)

هو – إنها أكواخ قديمة جداً ، أكواخ رطبة ، كهوف نيفر ... كنت تقولين ...

(تستسلم للشرك)

هي – نعم . ملأى بالنطرون . ولقد أصبحت بلهاء :

(مشهد يمثّلها وفمها يعضّ جدران كهف نيفر)

هي – كانت قطّة تدخل احياناً وتنظر . لا أعرف شيئاً بعد .

(مشهد قطة تدخل الى كهف في نيفر وتنظر الى تلك المرأة . هي تضيف)

هي – وبعد ذلك ، لا أعرف شيئاً .

هو – كم قضيت هناك من الوقت ؟

(تظل مأخوذة)

هي – بقيت الى الأبد .

★

(أحدهم ، رجل وحيد ، يضع اسطوانة فرنسية راقصة في الحاكي . ولكي تستمر معجزة نسيان نيفر ، وحتى لا « يتحرك » شيء يصبّ الياباني محتوى قدحه في قدح الفرنسية . في كوخ نيفر ، تلتمع عينا قطّة وعينا ريفا . حين تسمع الاسطوانة الراقصة (وتكون ثملة او مجنونة) تبتسم وتصرخ)

هي – آه ! كم كنت صبيّة ذات يوم ! في الليل ... تهبط بي امي الى الحديقة ، فتنظر الى رأسي . كل ليلة

تنظر الى رأسي في تنبّه . ولا تجرؤ بعد على الاقتراب مني .. وانما كنت أستطيع ان انظر الى الساحة في الليل فقط ، فكنت أنظر اليها . انها واسعة جداً (حركات منها) وهي تتقوّس لدى وسطها ، فتصبح وكأنها بحيرة .

(نافذة في كهف نيفر ، تبدو عبرها عجلات الدراجات التي تمرّ في فجر نيفر)

هي — وعند الفجر فحسب ، يُهوّم علي النعاس .

هو — وكانت تمطر السماء أحياناً ؟

هي — ... على الجدران .

(تتذكر وتبحث وتتذكّر)

هي — اني افكّر بك ، ولكني لا اقول ذلك بعد

(تقول ذلك بما يشبه الخبث)

(يقتربان)

هو — مجنونة .

هي — انني مجنونة بحبك . (فترة) إن شعري ينبت من جديد . وانا أتحسسه كل يوم بيدي . الأمر لديّ سواء . ولكن شعري مع ذلك ينبت من جديد ...

(تبدو ريفا في سريرها في نيفر ، ويدها في شعرها، وهنا ، في هيروشيما ، تمرّ يدها في شعرها)

هو — هل تصرخين ، قبل عهد الكهف ؟

هي — كلا ، لا أحسّ شيئاً .

(انهما الآن في هيروشيما ، خده الى خدها ، وعيونهما نصف مغمضة)

هي – انهم يجزّون شعري بعناية ، حتى النهاية . يحسبون ان من واجبهم ان يحسنوا جزّ شعور النساء .

هو – انت خجلى من عملهم، اليس كذلك يا حبيبتي ؟

(مشهد جزّ الشعر)

هي – كلا . انت ميت . انني مشغولة عنهم بآلامي الليل يهبط ، فلا أتنبّه إلا لصوت المقصّ على رأسي (تقول ذلك في جمود تام) وذلك...يعزيني قليلاً جداً ... من موتك .. كما .. ماذا أقول .. كما تعزيني الأظافر والجدران .. من الغضب .

(تستمر وهي ملتصقة به بجنون ، في هيروشيما)

هي – آه ؟ ايّ ألم ! اي ألم في القلب . ذلك عجيب : ينشدون المارسلياز في المدينة كلها . ويهبط الليل . إن حبيبي الذي مات هو عدوّ لفرنسا . ويقول أحدهم : يجب ان تأخذوها لتتنزه في المدينة . وتكون صيدلية ابي مغلقة بسبب فقدان شرفي ، بسبب عاري . اني وحيدة . ويكون هناك من يضحك . وفي الليل أعود الى بيتي .

(مشهد في ساحة نيفر . تطلق صرخة ناشزة ، ولكن لا بد ان يفهم جميع الناس ، انها تشبه ، في جميع لغات العالم ، نداء لطفل يدعو امه : ماما . يظل هو

ملتصقاً بها . ويمسك بيديها)

هي — ثم ذات يوم ، يا حبيبي ، نخرج من الأبد .

(غرفة نيفر . ريفا تطوف فيها ، فتقلب الاثـــاث بوحشية . حيوانية العقل) .

هي — نعم ، ذلك طويل . قالوا لي إن ذلك قـــد طال جداً . في الساعة السادسة ، تقرع كاتدرائية سانت اتيان ، صيفاً شتاء . وأسمعهـــا ذات يوم . اذكر اني سمعتها من قبل — من قبل — بينما كنا نتعاطى الحب ، في اثناء سعادتنا . وبدأت أرى . أتذكّر اني سبق لي ان رأيت من قبل — من قبل — بينما كنا نتعاطى الحب ، في اثناء سعادتنا . أتذكّر . أرى الحبر . أرى النهار . أرى حياتي . أرى موتك . حياتي التي تستمر . موتك الذي يستمر . (غرفة نيفر وكهفها) وأرى ان الظلام يبطيء أكثر من ذي قبل في الانتشار على زوايا جدران الغرفة ، وانه يبطيء اكثر من ذي قبل في الانتشار على زوايا جدران الكهف . حوالى الساعة السادسة والنصف . لقد انتهى الشتاء .

(فترة . في هيروشيما . ترتجف . تنسحب من الوجه .)

هي — آه ! هذا فظيـــع ! بدأت أتذكرك بصورة أقل ...

(يمسك بالقدح ويسقيها . انها مذعورة من نفسها)

هي — ... بدأت أنساك .. اني ارتجف لكوني نسيت

ذلك الحب كله ... اعطني (خمراً)
(تهذي . هذه المرة وحدها . هو يضيعها)
هي – كان الاتفاق ان نلتقي ظهراً على رصيف اللوار . وكان الاتفاق ان اسافر معه . وحين وصلت ظهراً الى رصيف اللوار ، لم يكن قد مات تماماً . كان أحدهم قد اطلق عليه النار من حديقة .
(حديقة رصيف نيفر . هي تهذي . ولا تنظر اليه بعد)
هي – بقيت بالقرب من جسمه طوال النار ، ثم طوال الليلة التالية . وفي صباح اليوم التالي جاءوا ينقلونه ويضعونه في شاحنة . وفي تلك الليلة ، حُرّرت نيفر . وكانت اجراس كنيسة سانت اتيان تقرع ... تقرع ... وقد اصبح بارداً تحتي شيئاً فشيئاً . آه ! ما اشدّ ما طال احتضاره . متى ؟ لست أدري بعد على الضبط . كنت متمدّدة عليه ... أجل ... لقد أفلتت مني حقاً لحظة موته ، لأنني حتى في تلك اللحظة ، وحتى بعد ذلك ، نعم ، حتى بعد ذلك ، بوسعي ان أقول اني لم أكن أجد أي فرق بين هذا الجسم الميت وبين جسمي ... لم اكن استطيع ان أجد بين ذلك الجسم وجسمي الا مشابه ... هادرة ، أتفهمني ؟ لقد كان ذلك حبي الاول ...
(قالتها صارخة)
(يوجّه لها الياباني صفعة . وتتصرف كما لو انها لم

تكن تعرف من اين يأتيها ذلك الألم . ولكنها تستيقظ ،
وتبدو وكأنها تفهم ان هذا الألم كان ضرورياً .)

هي – ثم ذات يوم ... كنت قد صرخت ايضاً ،
فوضعوني في الكهف .

(يستعيد صوتها إيقاعه . – يأتي هنا مشهد الكرة
الحجرية التي تدخل الكهف ، فتلمها ريفا ، وتشعر بأنها
حارة ، فتطبق عليها أصابعها ... ثم تعيدها الى الاولاد ،
في الخارج الخ ...)

هي – ... كانت حارة ...

(يدعها تتكلم من غير ان يفهم . تتابع)

هي (بعد فترة) – أعتقد اني في تلك اللحظة
بالذات ، خرجت من الخبث والشراسة . (فترة)
فانقطعت عن الصراخ . (فترة) وأصبحت عاقلة .
ولقد قيل : « اصبحت عاقلة » (فترة) وسمحوا لي
بالخروج ذات ليلة ، لحضور حفلة . (في نيفر ، عند
الفجر ، على حافة نهر) انها حافة اللوار ، عند الفجر.
أناس يمرون على الجسر يتراوح عددهم حسب الوقت .
من بعيد ، ليس ثمة أحد .

(ساحة الروبيلبيك في نيفر ، ليلاً)

هي – لم يكن قد مضى على ذلك وقت طويل حين
ابلغتني امي انه يجب علي ان اذهب ، في الليل ، الى
باريس . واعطتني مالاً . وذهبت الى باريس على الدراجة ،

ليلاً . وكان ذلك في الصيف . الليالي جميلة رطبـــة .
وحين وصلت الى باريس ، في اليوم التالي ، كان اسم
هيروشيما في جميع الصحف . وكان شعري قد طال بما فيه
الكفاية . وكنت في الشارع مع الناس .

(عاد احدهم فوضع الاسطوانة في الحاكي ، فأضافت
هي ، كما لو انها استيقظت)

هي – مرّ اربعة عشر عاماً .

(صبّ لها لتشرب . تشرب . تستعيد في الظاهـــر
هدوءها . يخرجان من نفق نيفر)

هي – انني لا أذكر جيـــداً يديّ .. وحتى الألم
أذكره أقلّ من ذلك .

هو – وهذا المساء ؟

هي – هذا المساء ، نعم ، أذكره . ولكن سيأتي
يوم لا اعود اذكره فيه . على الاطلاق : لا اعود اذكر
شيئاً .

(ترفع رأسها اليه في تلك اللحظة)

هي – غداً ، في مثل هذه الساعة ، أكون على بعد
آلاف الكيلومترات عنك .

هو – وزوجك ، هل يعرف هذه القصة ؟

(تتردد)

هي – لا .

هو – ليس هناك غيري إذن ؟

هي — نعم .

(ينهض عن الطاولة ، فيأخذها بين ذراعيه ، ويقسرها على ان تنهض بدورها ، ويعانقها بشدّة ، بشكل مفضوح . الناس ينظرون ، فلا يفهمون . انه في فرحٍ عنيف . وهو يضحك) .

هو — ليس هناك من يعرف غيري . انا وحدي .

(وتقول بينما تغمض عينيها)

هي — اسكت .

(تقترب منه ايضاً . ترفع يدها وتلامس بها فمه ملامسة خفيفة . وتقول ، وكأنما هبطت عليها سعادة مفاجئة)

هي — آه ! ما أحسن ان يكون المرء مع احد احياناً .

(يفترقان ببطء شديد)

هو — نعم (ولا تزال أصابعها على فمه)

(تتضاءل الاسطوانة فجأة على الحاكي . ينطفيء مصباح في مكان ما ، إما على جرف النهر او في الحانة . تنتفض هي وتسحب يدها التي كانت باقيةً على فمه . وهو لم يكن قد نسي الساعة .)

هو — استمرّي في الكلام .

هي — نعم .

(تحاول ولكنها لا تستطيع)

هو — تكلمي .

هي — يشرّفني ان اكون قد فقدت الشرف . اني ارغب في ان اعيش تلك اللحظة ، حين جزوا لي شعري، تلك اللحظة التي لا مثيل لها .

(يقول هو وقد انسحب من اللحظة الحاضرة)

هو — بعد بضع سنوات ، حين اكون قد نسيتك وتحدث قصص كهذه ، بقوة العادة ايضاً ، سأتذكرك كما اتذكر نسيان الحب نفسه . سأفكر بهذه القصة كما افكر بفظاعة النسيان . انني اعرف ذلك منذ الآن .

(يدخل أشخاص الى المقهى ، فتنظر اليهم وتسأل)

(يعود الامل)

هي — الليل ، أتراه لا يقف ابداً في هيروشيما ؟

(يدخلان في تمثيلية أخيرة . ولكنها تستسلم لذلك ، بينما هو يجيب كاذباً)

هو — انه لا يقف ابداً في هيروشيما .

(تبتسم ، وفي عذوبة بالغة ، في ضيقٍ باسم، تقول بلهجة معبودة)

هي — كم يروق لي ذلك ... المدن التي يوجد فيها أشخاص مستيقظون دائماً في الليل والنهار ...

(تطفيء سيدة الحانة مصباحاً . تنتهي الاسطوانة . وهما في الظل تقريباً . حان وقت إغلاق المقاهي في هيروشيما. يخفضان عينيهما ، كلاهما ، كما لو أن حشمة بالغة قد أدركتهما . لقد أُخرجا خارج باب العالم المنظّم حيث لا

يمكن لقصتها أن تندرج . إن الصراع مستحيل .
وانها لتفهم ذلك تماماً : دفعةً واحدة .
وحين يرفعان نظرهما من جديد ، يبتسمان مــع ذلك « حتى لا يبكيا » بأبسط ما في هذه العبارة من معنى .
وتنهض ، فلا يأتي أية حركة ليُمسكها . ويصبحان في الخارج ، تحت الليل ، امام المقهى . وتظل واقفــة أمامه .)

هي — يجب ان نتجنب التفكير في هذه الصعوبات التي يتكشف عنها العالم أحياناً . وإلا أصبح عالماً لا يمكن التنفس فيه على الاطلاق .
(هذه العبارة الاخيرة تُنطق في « زفرة » .
المصباح الاخير في المقهى يطفأ . وتكون عيونها مطرقة الى الارض من جديد . يرتفع صوت قارب آلي شبيهاً بصوت محرك طائرة ، وهو يجري في النهر نحو البحر .)
هي — ابتعد عني .
(يبتعد ، وينظر الى السماء في البعيد ويقول)
هو — لم يشرق النهار بعد .
هي — لا (فترة) أيكون من المرجح ان نموت من غير ان نلتقي مرة اخرى ؟
هو — من المرجح ، نعم . (فترة) الا ان تقع الحرب : يوماً ، فربما ...
(فترة . تجيب لتؤكد السخرية)
هي — نعم ، الحرب ...


Twitter: @alqareah

القسم الخامس


Twitter: @alqareah

(انقضى مزيد من الوقت .

نراها في أحد الشوارع ، تمشي بسرعة . ثم نراها في باحة الفندق ، تأخذ مفتاحاً . ثم نراها على الدرج ، ثم نراها تفتح باب غرفتها ، فتلج تلك الغرفة وتقف جامدة كما لو انها تقف أمام هوّة ، او كما لو ان ثمة احداً كان في الغرفة ، ثم تنسحب منها متراجعة ، ثم نراها تعيد اقفال باب هذه الغرفة على مهل .

وتصعد الدرج ، ثم تهبطه ، ثم تصعده مرة اخرى ... وتعود ادراجها ، وتروح وتجيء في ممرّ ، وتلوي يديها باحثةً عن مخرج ، حتى اذا لم تجده ، عادت الى الغرفة فجأة ، وتحمّلت مرآى هذه الغرفة ، تلك المرة .

وتتجه نحو المغسلة فتبلّل وجهها بالماء . وتسمع العبارة الاولى من حوارها الداخلي)

هي — يحسب المرء انه يعرف ، ثم يتبيّن انه لا يعرف قط . ينبغي له ان يعرف المدى الدقيق للزمن ،

فأن يعرف كيف يتسارع الزمن احياناً ، ثم يعرف هبوطه
البطيء اللامجدي والذي ينبغي له مع ذلك ان يتحمّله ،
فهذا هو ايضاً ، بلا شك تعلُّم الذكاء (تقطيـــع ،
ترديد ، هذيان)

هي – لقد كان لها في نيفر حُبٌ شباب ألمانيٌ ...
سنذهب الى بافاريا يا حبيبي ، وسنتزوج .
ولم تذهب قط الى بافاريا (تنظر الى نفسها في المرآة)
فليجـــرؤ اولئك الذين لم يذهبوا قط الى بافاريا ان
يحدّثوها عن الحب !
لم تكن قد مُتّ بعد .
لقد رويت قصتنا .
واتمد خنتك هذا المساء مع ذلك الرجل المجهول .
لقد رويت قصتنا .
وقد كانت ، كما ترى ، قابلةً لأن تُروى .
انقضى اربعة عشر عاماً لم استعد فيها ... مذاق حب
مستحيل .
منذ نيفر .
انظر كيف أنساك ...
– انظر كيف نسيتك .
انظر إليّ .
(تُرى هيروشيما من النافذة المفتوحة وقد بنيت من
جديد واستنامت باطمئنان . ترفع رأسها فجأة ، وتنظر

في المرآة الى وجهها المبلّل (كأنما هو مبلّل بالدموع)
وقد شاخت وتغضنت . فتغمض هذه المـرة عينيها ،
مشمئزة . ثم تمسح وجهها ، وتمضي بسرعة ، فتعبر
الباحة .)

*

(نعود فنجدها جالسة على مقعد يبعد عشرين متراً
من المقهى الذي كان يجمعهما منذ حين .
إن نور المقهى في عينيها . ذلك المقهى التافـه الذي
كان مقفراً تقريباً ، والذي خرج منه هو . وتظل تنظر
الى المقهى ، فتجد ان مصباحاً واحداً قـد أُضيء على
المشرب ، غير ان القاعة التي كانت تضمهما منـذ برهة
كانت مغلقة . وكانت هذه القاعة تتلقّى من باب المشرب
ضوءاً خفيفاً معكوساً يُحدث مع أوضاع الطاولات والكراسي
ظلالاً دقيقة عابثة .
وتغمض عينيها ، ثم تفتحهما . فيظن المشاهد انهـا
تنام . ولكن لا ، فأنما هي تفتحهما دفعـة واحدة ،
كقطة . ويُسمع صوتها ، في حوار داخلي :)
هي ـ سوف أبقى في هيروشيما . معه ، كل ليلة .
في هيروشيما . (تفتح عينيها) سأبقى هنا . هنا .
(تترك المقهى بعينيها ، وتنظر فيما حولها ، ثم تنكمش
فجأة على نفسها الى اكبر حدّ مستطاع في حركة طفولية
جداً . وجه مخبّأ في الذراعين . قدمان مطويّتان .

الياباني يصل الى قربها ، فتراه ، فلا تتحرك ، ولا تبدي أيّ ردّ فعل. يبدأ « غياب » أحدهما عن الآخر. ليس ثمة اية دهشة . يدخّن سيجارة . يقول)

هو — إبقي في هيروشيما .

(تنظر اليه في رقة)

هي — بالتأكيد ، سأبقى في هيروشيما معك .

(تضطجع على المقعد وهي تقول ذلك بطفولة)

هي — كم انا شقية ...

(يقترب منها)

هي — لم أكن أتوقع ذلك على الإطلاق ، أتفهم ؟..

هي — إذهب عني .

(يبتعد بينما تقول)

هي — إن تركك مستحيل .

★

(نلقاهما مرة اخرى على جادّة . من بعيد لبعيد تُرى بعض الملاهي المضاءة . الجادّة مستقيمة تماماً . تمشي وهو يتبعها . يملكان الوجه البائس نفسه ؛ فيمسكها ويقول برقة)

هو — إبقي في هيروشيما معي .

(فلا تجيب . واذ ذاك يُسمع صوتُها ، وكأنها تصيح ، في حوار داخلي)

هي – اودّ الاّ يكون لي بعد وطن !..

(فترة)

هي – إنه قادمٌ إليّ ، وهو سيأخذني من كتفيّ ، وسوف يقبّلني .. سوف يقبّلني ... وسأكون ضائعة .

(تقول كلمة « ضائعة » وهي مسحورة)

(عودة اليه . يُلاحظ أنه يسير سيراً أبطأ ليترك لها المجال ، وبدلاً من ان يسرع اليها ، يبتعد عنها . وهي لا تلتفت اليه .)

★

(تتَابعُ شوارع هيروشيما ونيفر . ريفا في حـــوار داخلي)

ريفا – ألتقي بك .

وأتذكّرك .

كانت هذه المدينة مصنوعة للحب .

وكنت انت مصنوعاً لجسمي نفسه .

من انت ؟

انك تقتلني .

انا جائعة . جائعة للأكاذيب وللموت .

منذ الأبد .

كنت أتوقّع جيداً ان تسقط يوماً عليّ .

كنت انتظرك بنفاد صبر هادىء لا يحدّ .

إلتهمني ، شوّهني على صورتك حتى لا يفهم أحد
آخر بعدك سبب هذه الرغبة العظيمة .
سوف نبقى وحدنا ، يا حبيبي .
ولن ينتهي الليل .
ولن يشرق النهار بعد على أحد .
ابداً ، ابداً بعد .
انك تقتلني .
انك تُحسن إليّ .
وسوف نبكي اليوم الفقيد بوعي وحسن ارادة .
ولن يبقى لنا بعد ما نفعله إلا ان نبكي اليوم الفقيد .
سيمضي زمن .
وسيأتي زمن . سيأتي زمن .
لا نعرف فيه بعد على الاطلاق ان نسمّي ما يجمعنا .
سيمّحي الاسم رويداً رويداً من ذاكرتنا .
ثم يختفي تماماً .
(يظلّ وراءها بعيداً عنها . هي غير قابلة بعدُ لان
تُمس . يهطل المطر . انهما الآن تحت افريز دكان)
هو — ربما كان ممكناً ان تبقيْ .
هي — انت تعرف جيداً أن ذلك أشد استحالةً من
ان نفترق .
هو — ثمانية ايام .
هي — لا .

هو — ثلاثة ايام .

هي — ماذا يمثّل هذا الوقت ؟ وقت ان نحيـــا من ذلك ، ام نموت ؟

هو — وقت أن نعرفه .

هي — هذا غير موجود . لا وقت ان نحيا من ذلك، ولا ان نموت . فلهذا سأمضي .

هو — كنت افضّل لو انّك مُتّ في نيفر .

هي — وانا ايضاً . ولكني لم امت في نيفر .

★

(نلقاها جالسة على مقعد في غرفة الانتظار بمحطـــة هيروشيما . يكون قد انقضى وقت آخر . تجلس بالقرب منها امرأة يابانية عجوز ، تنتظر . يُسمع صوت الفرنسية (حوار داخلي) :

هي — اودّ ان اراك مرة اخرى هـــذا المساء ، يا نيفر التي نسيتها . لقد احرقتك ليالي طويلة مدة شهور ، بينما كان جسمي يحترق لذكراه .

(يدخل الياباني كأنه شبح ويجلس على المقعـــد نفسه الذي تجلس عليه العجوز ، على نقيض المكان الذي تجلس هي فيه . وهو لا ينظر الى الفرنسية . وجهه مبلّل بالمطر، فيما هي يرتعش رعشة خفيفة .)

هي — بينما يحـــترق جسمي لذكراك . اودّ لو أرى نيفر مرة اخرى ... واللوار . (صور نيفر) يا حور

النيافر الرقيقة ، انني أهبك للنسيـــان . (تنُطق كلمة « الرقيقة » كما تنُطق كلمة « حب ») ويـــا قصة لا تساوي اربعـــة فلوس ، اني أهبك للنسيان . (خرائب نيفر) كنت انتظر النهار منقذاً بعد ليلة كنت فيها بعيدة عنك . (« الزواج » في نيفر) تموت في اليوم الذي لا ترى فيه عينيه ، فتاة نيفر تلك الصغيرة . ولا ترى يديه ، وتؤمن بشقاء الحب .

تلك الفتاة التافهة .

التي تموت من الحب في نيفر .

فيا مجزرة الشعر في نيفر ، اني أهبك للحب .

قصة لا تساوي اربعة فلوس .

وسيبدأ النسيان بعينيك ، كما هو الامر بالنسبة اليه

ثم يدرك النسيان صوتك ، كما بالنسبة اليه .

الامر سواء .

ثم يتغلّب النسيان عليك برمّتك ، رويداً رويداً

كما بالنسبة اليه .

فتصبحين اغنية .

هي — حوالى الساعة الرابعة مساء ، يلتقي في الصيف فريقان على جادة « الروبيليك » ليشتروا حوائجهم بهدوء . والفتيات ذوات الشعر الطويل لا يُسْتن بعدُ لأوطانهن . أودّ لو أرى نيفر مرة اخرى . نيفر . بلهاء حتى للبكاء . وفي ذلك الكهف ، في نيفر ، جاءني حب ذلك الرجل .

حبك انت جاءني هناك : في حيّ « بوسولاي » حيث تظل ذكراي مثلاً لا يُحتــذى ، جاءني حبك . ولأن ذكراي في حي « بوسولاي » ظلّت مثلاً لا يُحتذى ، أصبحت ذات يوم حرّةً بأن احبك . وما كنت لأجرؤ على حبك قط لو لم اترك في « بوسولاي » هذه الذكرى التي لا توصف . فتحية اليك يا « بوسولاي » ، اودّ لو أراك مرة اخرى هذا المساء ، يا بوسولاي ، بلهاء حتى البكاء .

(الياباني مفصول عنها بتلك المرأة اليابانية العجوز . يتناول سيجارة فينهض قليلاً ويمدّ العلبة للفرنسية . « هذا كل ما استطيــع ان أفعله من اجلك ، ان اقــدم لك سيجارة ، كما قد اقدّمها لأي انسان ، لهــذه العجوز مثلاً . » ولكنها لا تدخّن . فيقدّمها للعجوز ، ويشعلها لها . — مشهد غابة نيفر . ساعة الغروب . ونيفــر : بينما يعلن مكبّر محطة هيروشيما : « هيروشيما ، هيروشيما ! » فوق صور نيفر . يبدو على الفرنسية وكأنها نامت . هو والعجوز يسهران عــلى ذلك النوم ، فيتحدثان بصوت منخفض . ولأن العجوز تحسبها نائمة ، تسأل الياباني)

العجوز — من هذه ؟

هو — فرنسية .

العجوز — ماذا هناك ؟

هي — ستغادر اليابان عما قليل . ونحن حزينان لهذا

للفراق .

*

(ليس هي بعد هناك . وانما نجدها على مقربة من المحطة . تستقل سيارة تاكسي ، وتقف امام ملهى ليلي « الكازابلانكا » . وما يلبث ان يصل هو بدوره . — تجلس وحيدة الى طاولة . يجلس الى طاولة تقابل مكان طاولتها . انها النهاية . نهاية الليلة التي ستفصلهما الى الابد . — ياباني كان موجوداً في القاعة يتجه الى الفرنسية ويبدأ يحدثها (بالانكليزية)

الياباني — هل انت وحدك ؟

(لا تجيب الا بالاشارات . يومىء هو الى كرسي بجانبها)

الياباني — ألديك مانع بأن تحدثيني قليلاً ؟

(المكان شبه مقفر . بعض الموجودين يتثاءبون ضجراً)

الياباني — أليس هذا الوقت أشد تأخراً من ان تستطيعي البقاء فيه وحدك ؟

(تترك لياباني آخر ان يحاذيها لتضيع ذلك الذي نعرفه . ولكن ذلك ليس ممكناً فقط ، بل هو غير مفيد ايضاً . ذلك انه قد ضاع فعلاً)

الياباني — هل يمكنني ان أجلس ؟ وهل جئت لمجرد زيارة هيروشيما ؟

(بين وقت وآخر ، يتبادلان النظر ؛ قليلاً جداً ،

وذلك مريع)

الياباني – هل احببت اليابان ؟ وهل تعيشين في باريس ؟

(يشرق الفجر رويداً رويـــداً ، ويكفّ الحوار الداخلي هو نفسه . يظل ذلك الياباني يحدثها . بينما تنظر الى الآخر . يكفّ الياباني المجهول عن محادثتهـــا . ثم ينبلج « فجر المحكومين » مريعاً ، عبر الزجاج .

★

(نجدها مرة اخرى خلف باب الغرفة ، واضعـــة يدها على قلبها . يُطرق الباب . تفتحه . تقول)

هو – كان مستحيلاً ألا أجيء .

(انهما واقفان في الغرفة . واقفان أحدهما تجاه الآخر ، الذراعان متدليتان من غير ان يلمس احدهما الآخر . الغرفة لم تُمسّ . المنافض فارغة . الفجر مشرق تماماً . الشمس بازغة . لا يفعلان شيئاً ، حتى ولا يدخّنان . السرير لم يُمسّ . لا يتبادلان كلمة . يتبادلان النظـــر . صمت الفجر يثقل على المدينة كلها ، ويدلف الى الغرفة . في البعيد ، لا تزال هيروشيما نائمة .

(وفجأة تجلس . فتأخذ وجهها بين يديها ، وتئن . شكوى غامضة . ينعكس في عينيها إشراق المدينة . تصرخ فجأة)

هي – سأنساك ! بل لقد بدأت أنساك ! انظر كيف انساك ! انظر إليّ !

(يمسكها من ذراعيها ، فتقف تجاهه مقلوبة الرأس الى خلف . تبتعد عنه بكثير من الوحشية . ينظر اليها وتنظر اليه كما كانت تنظر الى المدينة وتناديه فجأة برقة وعذوبة . تناديه في البعيد ، وهي مسحورة . لقد نجحت في ان تغرقه بالنسيان العام . وكانت مسحورة بذلك .

هي – هيـ – رو – شيـ – ما . هيـ – رو – شيـ – ما . هذا هو اسمك .

(ينظر احدهما الى الآخر من غير ان يراه . الى الابد)

هو – هو اسمي . نعم . اما اسمك انت ، فهو نيفر .

انتهت

ملحق

تعليقات المؤلفة على مشاهد الرواية وأحداثها


Twitter: @alqareah

ملاحظات عن نيفر

حول صورة موت الألماني

انهما ، كليهما ، بالتساوي ، فريسة هذا الحادث :
موته هو .
وليس لدى اي منهما اي غضب . ليس ثمة إلاّ
الأسف المميت ، أسف حبّهما .
ألم واحد . دم واحد . دموع واحدة .
إن لامعقولية الحرب ، وقد عُرّيت ، تحوم فوق
جسميهما اللذين لا يتميز أحدهما عن الآخر .
وبالامكان الظنّ بأنها ميتة ، لفرط ما تتلوّى من
موته هو .
إنه يحاول ان يلامس جنبها ، كما كان يفعل في
ساعات الحب ، فلا يتمكن من ذلك .
ولكأنها تساعده على الموت . إنها لا تفكر بنفسها ،

بل به هو وحده . ولكأنه هو يؤاسيها ، ويكاد يعتذر
من ان يسبّب لها الألم ، يعتذر من ان يموت :

حين تكون وحدها ، في ذلك المكان نفسه الذي ضمّها
منذ برهة ، لا يكون الألم قد اتخذ مكانه في حياتها :
انها فقط غارقة في دهشة لا توصف ، دهشة من ان
تجد نفسها وحيدة .



حول صورة الحديقة التي اطلقت منها النار على الالماني

أُطلقت النار من هذه الحديقة ، كما كان يمكن ان
تُطلق من حديقة اخرى في نيفر . من اية حديقة اخرى
في نيفر .

فالمصادفة وحدها هي التي قضت بأن تُطلق من تلك
الحديقة .

وهذه الحديقة ستُطبع بعد الآن بطابع تفاهة موته :
ومن هناك انطلق موته ، الى الابد .



جندي ألماني يعبر ساحة قرية

في اثناء الحرب

في مكان ما من فرنسا ، في نهاية الأصيل ذات يوم ، يجتاز جندي ألماني ساحة احدى قرى الريف .

حتى الحرب شيء يومي .

الجندي الألماني يجتاز الساحة كأنه مرمى هادىء .

اننا في جوف الحرب ، في اللحظة التي تحمل اليأس حول مصير الحرب . فالناس يكفّون عن الاهتمام بالعدو والحذر منه ، اذ ان عادة الحرب قد أقامت بينهم وعسكرت وساحة « شان دومارس » تعكس قنوطاً هادئاً . والألماني نفسه يستشعر ذلك ايضاً . ثم ان الناس لا يتكلمون عما فيه الكفاية عن ضجر الحرب . وفي هذا الضجر ، تقف نساء خلف مصاريع مغلقة وتنظر الى العدو الذي يسير في الساحة . ان المغامرة هنا تحد بالوطنية . اما المغامرة الاخرى فيجب ان تختنق . وهذا لا يمنع الناس من ان ينظروا . ليس ما يُعمل ضد هذه النظرة .

★

حول صور اللقاء

بين ريفا والجندي الألماني

لقد تعانقنا وتبادلنا القبل خلف الاسوار . صحيح أني

كنت شديدة الحزن ، ولكني قبلت حبيبي في سعادة لا تُقهر .

كانت الأسوار مقفرة دائماً في اثناء الحرب . وقد أُعدم فيها فرنسيون في اثناء الحرب . وبعد الحرب ، أُعدم فيها ألمان .

اكتشفت يديه حين كانتا تلمسان حواجز تفتحانها لي. وسرعان ما أعطتني يداه الرغبة في معاقبتهما . ولقد عضضت يديه بعد تعاطي الحبّ .

وبين جدران المدينة أصبحت امرأته .

لا أستطيع بعد ان أتذكّر الباب الداخلي للحديقة ه كان ينتظرني هناك ، ساعات بعض الاحيان . ولا سيما في الليل . كلما كنت أُمنح لحظة حرية . وكان خائفاً ه وكنت خائفة .

حين كان ينبغي لنا ان نعبر المدينة معاً ، كنت أتقدّمه وانا خائفة . وكان الناس يخفضون عيونهم . وقد صدّقنا عدم اكتراثهم . فبدأنا نتخلى عن حذرنا :

كنت اطلب منه ان يعبر الساحة ، خلف حاجز (....) لأتمكن مرةً من ان أراه في النهار . ولهذا ، كان يمرّ كل يوم أمام هذا الحاجز ، خافض العينين ،

مستسلماً لنظراتي اليه :

كانت الريح ، شتاء ، تدور على نفسها في الخرائب .
كانت شفتاه باردتين .

★

« نيفر » خيالية

إن نيفر التي وُلدت فيها ، لا تتميّز عني في ذاكرتي .
انها مدينة يستطيع ولدٌ ان يطوف بها .
يحدّها اللوار من جهة ، والأسوار من جهة اخرى .
ووراء الاسوار تقوم الغابة .
ويمكن لنيفر ان تُقاس بقدم طفل .
ونيفر « تمر » بين الأسوار والنهر والغابة والريف .
الأسوار متسلطة . والنهر أعرض أنهـــار فرنسا واشهرها واجملها .
وإذن ، فان نيفر محدودةٌ كأنها عاصمة .
حين كنت فتاة صغيرة ، وكنت اطوف بها ، كنت أحسبها شاسعة . وكان ظلها يرتجف في اللوار ، فتزيده كبراً .
واتساع نيفر هذا ، احتفظت بوهمه وقتاً طويلاً ، حتى بلغت سن الفتاة الصبية .

واذ ذاك ، انغلقت نيفر على نفسها ، ونمت كما ينمو الانسان . ولم أكن اعرف شيئاً عن المدن الاخرى . كنت بحاجة الى مدينة قُدّت على مستوى الحب نفسه . فوجدتها في نيفر بالذات .

خطأٌ في القلب والفكر ان يقال عن نيفر إنها مدينة صغيرة . لقد كانت كبيرة جداً في نظري .

القمح على ابوابها ، والغابة على نوافذها . وفي الليل ، يصل البوم حتى حدائقها . فينبغي ان يحترس المرء من ان يخافها .

الحب فيها مُراقب ، كما لا يراقب في اي مكان آخر .

اشخاص وحيدون ينتظرون فيها موتهم . ولا تستطيع اية مغامرة اخرى غير هذه ان تحرّف انتظارهم .

وإذن ، ففي هذه الشوارع المتعرّجة ، يسرى خطر انتظار الموت نفسه .

اما الحب ، فلا يُغتفر فيها . الخطيئة ، في نيفر هي الحب . والجريمة ، في نيفر ، هي السعادة . والضجر فيها فضيلة مباحة .

مجانين يتمشّون في ضواحيها . بوهيميون . كلاب والحب .

خطأ في الفكر والقلب كذلك ان يُقال عن نيفر اي سوء ،

★

حول صورة الكرة التي
يضيعها الاطفال

صرخت مرة اخرى . وفي ذلك اليوم سمعت صرخة . كانت تلك آخر مرة وضعوني فيها في الكهف . وصلت إلي (الكرة) على رملها ، كأنها حدث .

كانت تسيل في داخلها انهار ملونة حية جداً . كان الصيف في داخل الكرة . وكانت لها من الصيف ايضاً حرارته .

كنت قد عرفت انه ما كان ينبغي لي بعد ان آكل الأشياء ، ان آكل كل شيء ، الجدران ، ودم يدي ، والجدران . فنظرت الى الكرة في لطف ، ووضعتها على فمي ، ولكن من غير ان أعض .

وكانت استدارتها الممتازة واتقانها يطرحان مشكلة لا تُحل .

ربما كان علي ان أكسرها ، ورميتهـــا ، ولكنها عادت تقفز نحو يدي . ورميتها مرة اخرى ، فلم تعد .

لقد ضاعت .

حين ضاعت ، عاد شيء عرفته . عاد الخوف . لا يمكن لكرة ان تموت . واتذكّر وابحث عنها ، فأجدها من جديد .

صرخات الاطفال . الكرة في يدي . صراخ : « الكرة » انها للاطفال . كلا . لن اعيدها لهم . وفتحت يَدي ، فاذا هي فيها ، أسيرة ، وأعدتها للاطفال .

★

جندي الماني يضمد يده
في صيدلية والد ريشا

في ذلك الصيف ، كنت ارتدي قميصاً اسود من الصوف . الصيف بارد في نيفر . صيف الحرب . ابي يشعر بالضجر . الرفوف فارغة . اني اطيع ابي كالاولاد . كانت يده (الالماني) محروقة . وانظر اليها . واوجعه وانا اضمّدها له . وحين ارفع عينيّ ، ارى عينيه . انهما عسليتان . ويضحك لأني اوجعه . فلا اضحك انا .

★

امسية في نيفر اثناء الحرب

الجندي الالماني يرقب غرفة ريفا من الساحة

يشرب ابي ويصمت . لا ادري ان كان يسمع الموسيقى التي اعزفها . الامسيات مميتة ، ولكني لم اشعر بذلك بعد ، قبل ذلك المساء . يرفع العدو رأسه نحوي ويكاد يبتسم . احس بما يشبه الجريمة . وأُغلق المصراعين كما لو اني امام مشهد فظيع . ويكون ابي نائماً على اريكته ، كمألوف عادته . وعلى الطاولة يكون صحنانا وخمر ابي . . وخلف المصاريع تموج الساحة كالبحر . ويبدو ابي كأنه غريق ، فأتجه اليه وانظر عن كثب ، حتى اكاد ألمسه . انه نائم في الخمر . واكاد لا اعرف انه ابي .



امسية في نيفر

وحدي في الغرفة عند منتصف الليل . لا يزال بحر ساحة « شان دومارس » يموج خلف مصاريعي . لا بدّ أنه مرّ ايضاً هذا المساء . ولم افتح نافذتي .



زواج نيفر

أصبحت امرأته في الشفق والسعادة والعار . وحين تم
هذا ، كان الليل قد غمرنا ، من غير ان نشعر بذلك .

كان العار قد امحى من حياتي . وقد كنّا فرحـين
بمرأى الليل . لقد كنت أخاف الليل دائماً . أمـا ذلك
الليل ، فقد كان أسود كما لم أشاهده قط . وكان وطني
ومدينتي وأبي الشمل قد غرقوا فيه . مع الاحتلال الألماني .
في كيس واحد .

ليل أسود لليقين . ولقد نظرنا اليه في تنبّه ، ثم في
جدّ . وبعد ذلك ، ارتفعت في الأفق جبال ، واحد
اثر الآخر .



ملاحظة اخرى حول الحديقة
التي أطلقت منها النار على الالماني

الحب ييسر على الحياة الموت اكبر التيسير .
ويمكن لهذه الحديقة ان تحمل على الايمان بالله .
ذلك الرجل ، السكران بالحرية ، الحامل بندقيته ،
ذلك المجهول في آخر تموز سنة ١٩٤٤ ، رجل نيفر هذا

أخي ، كيف تمكّن من ان يعرف ؟

*

حول عبارة : « ثم مات »

لا تتكلم ريفا نفسها بعد ، حين تظهر هذه الصورة ؛ فإن في اعطاء اشارة خارجية عن ألمها ، تخفيفاً لهذا الألم .

كل ما هنالك انها اكتشفته يموت على الرصيف، تحت الشمس . ونحن الذين لا نستطيع احتمال هذه الصورة ؛ اما بالنسبة لريفا ، فانها قد كفّت عن الكلام . كفّت بكل بساطة .

إنه ما يزال على قيد الحياة .

وتدخل ريفا ، وهي متمدّدة فوقه ، في مطلق الألم .

إنها في « الجنون » .

ومنطقيّ ان نراها تبتسم له ، في تلك اللحظة.

إن للألم جانبه الفاحش . وريفا فاحشة . شأنها شأن المجنونة . لقد زالت ملكة الفهم عندها .

كان ذلك حبها الاول . وهذا هو ألمها الاول . ونحن لا نكاد نستطيع ان ننظر الى ريفا وهي في تلك الحالة . ولا نستطيع ان نفعل شيئاً من أجلها . فماذا ننتظر ؟ ننتظر

ان يأخذ الالم عندها شكلاً مفهوماً ومحتشماً .

إن « فريسون » يموت . ويبدو وكأنه مشدود الى الارض . لقد أخذه الموت صفعاً . ودمه يجري منه كالنهر وكالزمن . وكعرقه . يموت كحصان ، بقوة لا تحتمل الشك . وهو منشغل كثيراً بهذا . ثم تأتي عذوبة عيني فريسون . ويتبادلان الابتسام . أجل . « ترى يا حبيبي ، حتى هذا كان ممكناً لنا . » انتصار مأتمي . اكتمال . انني متأكدة من انني لن أستطيع ان اعيش بعدك ، متأكدة الى حد انني ابتسم لك .



بعد ان حملت جثة الجندي الالماني في شاحنة
ريفا تبقى وحدها على الرصيف

في ذلك اليوم ، كانت السماء مجيدة . ومع ذلك ، فان المغيب ما لبث ان جاء ، كما يجيء كل يوم .

وما بقي لريفا ، ، على هذه المحطة ، ليس اكثر من خفقات قلبها . ولقد امطرت السماء حوالي نهاية الاصيل ، أمطرت على ريفا كما امطرت على المدينة . ثم انقطع المطر . ثم جز شعر ريفا . وبقي على الرصيف مكان ريفا الجاف . مكانها المحترق .

لكأنها كانت نائمة ، على تلك المحطة . ويكاد الرائي لا يعرفها . تمر حيوانات على يديهـــا المخضبتين بالدم . كلب ؟

★

ألم ريفا . جنونها
كهف نيفر

لا تزال ريفا معتصمة بالصمت .

والصيف يستمر بلا عقاب . وفرنسا كلها في عيـــد . في الفوضى والفرح . والأنهار هي ايضاً ، تجري بـــلا عقاب . اللوار . إن عيني ريفا تسيلان وقد نظمها الالم، في ذلك الاضطراب الفوضوي .

الكهف صغير ، كما يمكن ان يكون كبيراً .

وريفا تصرخ ، كما يمكن ان تصمت . وهي لا نعرف أنها تصرخ .

ويعاقبونها ليفهموها أنها تصرخ ، كأنها صماء .

ويجب ان تتعلّم الاستماع حين تصرخ .

لقد رووا لها ذلك فيما بعد .

انها تجرّح يديها كالحمقاء . ان العصافير اذا أُطلقت في الغرف حكّت اجنحتها ولم تشعـــر بشيء . وتُدمي ريفا اصابعها وتأكل دمها بعد ذلك . يكزّ وجههـــا ثم

تستأنف من جديد. لقد تعلّمت ذات يوم ، على رصيف ، ان تحب الدم . كحيوان قذر . ويجب ان ينظر المرء الى شيء ما ، لأن ريفا ليست عمياء . وهي تنظر . فـلا ترى شيئاً . ولكنها تظل تنظر . فترى اقـدام الناس . الناس الذين يمـرون في كونٍ ضروري ، هو كونك وكوني ، في مدةٍ مألوفة لدينا .

ونظرة ريفا الى اقدام هؤلاء الناس (وهي اقدام لا تقلّ مغزى عن الوجوه) تمر في عالمٍ عضوي قد هجرته حماسة العاطفة . انها تنظر الى عالم اقدام .



والد ريفا

الحرب قد اتعبت الوالد . هو ليس خبيثاً ، وانما قد خبله ما يحدث له ، على غير ارادة منه . انـه يرتدي الحداد .



ام ريفا

الام ذات حيوية . وهي افتى من الأب الى حد بعيد .

واكثر ما تحب في الدنيا ابنتها . حين تصرخ ريفا ، يجن جنونها من أجلها . وتخاف الأم ان تتعرض ابنتها الى مزيد من الأذى ، فهي تمسك البيت كله بيديها ، وهي قوية ، ولا تريد لريفا ان تموت . وهي معها ذات حنان وحشي . حنان لا حدود له . وهي ، بخلاف الأب ، لا تيأس من ريفا .

انهم ينزلونها الى الكهف ، كما لو أنها في العاشرة من عمرها ، وهما يرتديان اللباس الاسود . اما ريفا فترتدي بينهما لباساً « فاتحاً » ، قميص ليل ذو دانتيل ، قميص صبية نضرة ، خاطته الأم ، أم تنسى دائماً ان ابنتها تكبر .



ريفا في كهف نيفر
وفي غرفتها الطفولية

ريفا واقفة في زاوية من الكهف ، ممتقعة الوجه . عيناها زرقاوان دائماً كمياه اللوار . عينا الرصيف ذاتهما. طفولة مريعة .

وفي الليل ، تسترد رشدها ، فتتذكر انها امرأة رجل. هي ايضاً قد أدركتها الشهوة صفعاً . ولا يمنعها موته ان

تشتهيه بعد . وهي لا تحتمل بعد اشتهاءها له ، وهو ميت . إن فمه رطب ، ولو كان رطباً بالدم ...

وفي الكهف ، لا يوجد غير النطرون ؛ ولهذا فهو يؤكل . ملح الحجر . إن ريفا تأكل الجدران ، وتقبّلها . إنها في عالم جدران . وذكرى رجل قائمة في هذه الجدران، مجبولة بالحجر والهواء والأرض .

وتدخل قطّة الى الكهف ، وهي تتوقّع كل شيء . اما ريفا فقد نسيت وجود القطط . والواقع ان القطط قد عُوّدت على الألفة ، فسلكها مسلك لطيف . غير ان عيونها لا تعرف الألفة . إن عيني القطة وعيني ريفا تتشابهان وتتبادلان النظر . ويكاد يكون مستحيلاً ان يقاوم إنسان عيني قطة . اما ريفا فتستطيع . إنها تدخل رويداً رويداً في نظر القطة . ولا يكون في الكهف بعد الا نظر واحد ، نظر القطة — ريفا .

اما ساحة نيفر فقائمة ، تراها ريفا من الكهف : اين يذهب هؤلاء الناس ؟ إن لهم أسبابهم . وعجلات الدراجات تشبه شموساً ، وما يتحرك يُرى خيراً مما لا يتحرك . العجلات والأقدام . كل شيء يموج في الساحة .

واحياناً ترى بحراً . وستعرف فيما بعد أن ما تظنّه بحراً هو الفجر . والفجر والبحر يوحيان لها بالنعاس .

★

يدا ريفا في شعرها ، اذ تنام

وما دامت لم تمت ، فان شعرها ينبت من جديد .
إنه عناد الحياة : شعر ينبت ليل نهار . وتحت الغلالة ،
ينبت . انني ألامس رأسي برقة . وان الملمس يتحسن ،
فهو لم يعد شائكاً .

وشعرها ، كانوا قد جزّوه وهي في فترة الشرود .
يجب ان يُجزّ ، فليجزّ . صحيح أن لديهم ما يفعلونه
في مكان آخر . ولكنهم هنا يقومون بواجبهم .

والفتاة التي جُزّ شعرها ، هي ابنة الصيدلي . انها
تكاد تمدّ رأسها للمقصّ . وهي تكاد تساعد العملية إذ
تستسلم بآلية مكتسبة . والحق انه يروق للرأس ان يُجزّ ،
فانه يصبح خفيفاً (وقد سقط عليها شعر منه كثيف)

وتصل انغام المارسيلياز مع ريح المساء فتشجّع على
جزّ الشعر ، وعلى ممارسة عدالة مستعجلة وسخيفة . انهم
لا يملكون الوقت ليكونوا أذكياء ...

وتظل الفتاة تنتظر ، بعد ان جُزّ شعرها . انها تحت
تصرفهم . وقد وقع شرّ في المدينة ، وهذا خبر .
وينبغي لهذه الفتاة الآن ان تذهب . إن هيئتها بشعة في
هذه اللحظة ، بل هي منفّرة . ولهذا فهي لن تستطيع
ان تعود بسهولة الى بيتها .

ولكنها تعود في منتصف الليل . وتنظر الى امها مقبلة

عليها . وكان بودّها ان تسألها « أأنت التي وضعتني في هذه الحياة ؟ » ولكنها عدلت لتسألها : « ما معنى هذا الذي حدث لي ؟ »

تقطّب ريفا حاجبيها قليلاً ، وتسأل السماء ، وامها . لقد بلغت قواها حدّها « الدقيق » ، حتى اذا وصلت اليها امها ، تكون قد تجاوزت قواها ، فتسقط بين ذراعيها كأنها مغمى عليها . ولكن عينيها تظلان مفتوحتين .

إن ما حدث في تلك اللحظة بين ريفا وامها هو شيء فيزيائي بحت . إن الام تتلقى ابنتها في براعة ، فهي تعرف وزنها ، وتضع رأسها في موضع من جسم امها قد الفت ان تستريح اليه في طفولتها ، ريثما تزول احزانها .

وتكون ريفا باردة . وتدلك امها ظهرها وذراعيها ، وتعانق رأس ابنتها المجزوز ، على غير ما شعور منها ، ومن غير تأثر . المهم ان ابنتها ما تزال على قيد الحياة . تلك هي السعادة التي لم تكن تتوقعها . وتحمل الام ريفا .. فتشعر كأن وزنها قد تغيّر ، فأصبح وزن ميتة ...

★

صورة ريفا ـ عودة الرشد

انها تدور وتدور ، بينما يمضي الزمن :

وقد بلغ جنونها الآن درجة الهياج . يجب ان تتحرك . وتعود الى الدوران .

وتنغلق الدائرة ، ولكنها موشكة على الانفجار . تلك هي اللحظة الاخيرة .

ويبدو وجه ريفا كأنه مجصّص « إن هذا الوجه لم يصلح لشيء منذ أشهر . » وقد رقّت الشفتان ، وهزل النظر . واصبح الجسم لا يعني شيئاً . إن جسم ريفا حين تدور لا يصلح إلاّ لحمل رأسها . وهي لا تكفّ عن مناداته ، مناداة الالماني ، ولكن بهدوء ، وفي اوقات متباعدة . انها الآن ذكرى الذكرى . الجسم قــذر غير مسكون . ستكون حرة ، وستنفجر الدائرة . إن ريفا تهدم نظاماً خيالياً ، وتقلب الأشياء ، وتنظر اليها معكوسة .

وحين تنظر الى الزوايا السفلى في غرفتها ، وتتذكر اشياء واشياء ، ترتعش شفتاها . هل تبسم ام تبكي ؟ الأمر سيّان . هي تصغي ، فكأنها تهيء ضربة قذرة . ولكن لا . انها تصغي فحسب الى اجراس سانت اتيان . انها تجترّ ألمها اجتراراً كاملاً . وتصغــي الى ضوضاء المدينة ، ثم تدور من جديد حول نفسها . وفجأة تتمطّى ؛ انه الرشد يعود اليها ، وهو مخيف ... فتطرد بقدميها ، ماذا تطرد ؟ أشباحاً .

★

ريفا تخرج عند الفجر
الى ارصفة اللوار

تركوني اخرج . انني متعبة جداً . ويقولون اني افتى من ان أتحمّل العـــذاب . ويقولون إن الطقس عذب : ويقولون ان ثمانية اشهر قد انقضت . ان شعري الآن طويل . لا أحد يمرّ . ولست خائفة بعد . هكذا . لا ادري لِمَ ينبغي ان أستعدّ ... ان امي تراقب صحـــتي لهذا الغرض . وانا اراقب صحتي . ويقولون لي انه لا ينبغي لي ان انظر كثيراً الى اللوار . بل اني سأنظر اليه مطولاً .

يمرّ اشخاص على الجسر . إن التفاهة تلفت النظـــر احياناً . ويقولون انه السلام . هؤلاء الاشخاص هم للذين جزّوا شعري . لم يجزّني احـــد . ان اللوار هو الذي « يأخذ » لي عيني . انا انظر اليه ولا انجح في ان انزع عن الماء نظري . اني لا افكر في شيء على الاطلاق : اي نظام !

*

ريفا تسافر الى باريس ليلا

أيّ نظام ! يجب عليّ ان اسافر . واسافر ، وقد

عاد النظام . لا يمكن ان يحدث لي شيء بعد غير ان اوجد . اتفقنا .

الليل لطيف . اني اغادر اللوار . وما يزال اللوار في نهاية كل طريق . سوف يختفي اللوار رويداً رويداً من حياتي .

نيفر

(للذكرى)

ريفا تروي بنفسها حياتها في نيفر

في الساعة السابعة مساء ، كانت كاتدرائية سانت اتيان تقرع أجراسها . فتغلق الصيدلية ابوابها .

ولما كنت قد رُبّيت في الحرب ، فاني لم اكن اتنبّه كثيراً للصيدلية بالرغم من ان ابي كان يحدّثني عنها كل مساء .

كنت اساعد ابي في الصيدلية ، فأعدّ العقاقير . وكنت قد أنهيت دراستي . وكانت امي تعيش في محافظة من محافظات الجنوب ، وكنت أسافر اليها عدة مرات في السنة ، بمناسبة العطل .

كانت الصيدلية تغلق ابوابها في الساعة السابعة مساء ، صيفاً وشتاء ، في ليل الاحتلال الاسود ، او في نهار

حزيران المشرق . وكان هذا وقتاً باكراً جداً بالنسبة لي.
وكنا نصعد الى غرف الطابق الاول بعـــد ذلك . كانت
جميع الافلام تقريباً المانية . وكانت السينما محظرة عليّ .
وكان « شان دومارس » يزداد اتساعاً في الليل ، تحت
نوافذ غرفتي .

وكانت دار البلدية بلا راية . وكان ينبغي ان اتذكر
طفولتي الاولى لاتذكّر المصابيح المضاءة . وهكذا عُبر
خطُ التحديد .

ووصل العدو . وكان جنود ألمان يجتازون ساحة «شان
دومارس » وهم يغنّون ، في ساعات محدودة . وكان
أحدهم يأتي احياناً الى الصيدلية .

وجاء ايضاً منع التجوّل .

ثم جاءت ستالينغراد .

وقد أُعدم رجالٌ كثيرون عند الاسوار .

ونفي آخرون . وفرّ غيرهم ليلتحقوا بالمقاومة . وبقي
البعض هنا ، في الخوف والغنى . وقامت السوق السوداء .
وكان أطفال حيّ العمال في « سانت ... » يموتون جوعاً
بينما كان آخرون يأكلون الكبد في مطعم « غران سير » .

وكان ابي يعطي اطفال « سانت ... » العقاقير ،
وكنت احملها لهم مرتين في الاسبوع ، حين كنت اذهب
لآخذ درس البيانو ، بعد إغلاق الصيدلية . وكنت احياناً
اعود متأخرة . وكان ابي يترصد لي خلف النوافـــذ .

وكان ابي يطلب مني ان اعزف له على البيانو أحياناً .

وكان ابي يعتصم بالصمت ، بعد ان انتهي من العزف ، ويتوكّد يأسه . كان يفكر بأمي .

وبعد ان اكون قد عزفت هكذا ، مساء في الذعر من العدو ، كان شبابي يقفز الى حنجرتي . ولم اكن أحدّث في ذلك ابي . كان يقول لي اني كنت عزاءه الوحيد .

وكان الرجال الوحيدون الباقون في المدينة ، من الألمان. وكنت في السابعة عشرة .

وكانت المذاهب الأخلاقية المختلفة قد بدأت تعكّر ذهني .

وكان يوم الأحد يوم عيد لي . فكنت اجتاز المدينة كلها على دراجتي متجهة الى « ايزي » لأحمل الزبدة الضرورية لغذائي . وكنت احاذي « النيافر » . وكنت احياناً اقف تحت شجرة ، فينفد صبري من استمرار الحرب . بينما كنت انمو واكبر قبالة المحتلّ وضده ، قبالة هذه الحرب وضدها . وكان النهر يعود علي باحساس الطمأنينة .

وذات يوم ، تقدم الى الصيدلية جندي الماني ليضمّد يده من حرق أصابها . وكنا وحدنا في الصيدلية . وضمدت له يده كما علّموني ان أفعل ، وانا احس له بالكراهية . وشكرني العدو .

وعاد مرة اخرى . وكان ابي موجوداً فطلب مني ان اهتمّ بأمره .

وضمّدت يده مره اخرى بحضور ابي . ولم اكن ارفع بصري اليه ، كما علّموني .

ولكن حدث في مساء ذلك اليوم نفسه ان ضجراً خاصاً تملّكني من الحرب ، فحدّثت في ذلك ابي ، فلم يجبني .

وعزفت على البيانو . ثم اطفأنا النور . وطلب منّي ان اغلق المصاريع .

وفي الساحة ، كان شاب ألماني مضمّد اليد مستنداً الى شجرة . وقد عرفته في الظلام ، بسبب اللطخة البيضاء التي كانت يده تشكلّها في العتمة . وكان ابي هو الذي اغلق النافذة . وعرفت ان رجلاً قد سمعني وانا اوقّع على البيانو للمرة الاولى في حياتي .

وعاد هذا الرجل في اليوم التالي . وعند ذاك رأيت وجهه . وكيف كان لي ان امتنع عن ذلك بعد ؟ واقبل ابي علينا ، فأبعدني وابلغ هذا العدو ان يده لم تكن تحتاج بعد الى ايّ علاج .

وفي مساء ذلك اليوم ، طلب مني ابي بصراحة ألاّ أعزف على البيانو . وقد شرب من الخمر اكثر مما اعتاد ان يفعل على مائدة الطعام . وأطعت ابي . وقد حسبت انه اصبح مجنوناً بعض الشيء . حسبته ثملاً او مجنوناً .

كان ابي يحب امي حباً جنونياً . وكان يحبها ابداً . وكان يتألم كثيراً من انفصاله عنها . فمنذ غيابها ، اقبل على الشراب .

وكان احياناً يسافر للقائها ، ويعهد إليّ في الصيدلية .

وقد سافر في اليوم الذي تلا ذلك اليوم ، من غير ان يحدثني مرة اخرى عن حادث العشية .

وكان اليوم التالي يوم أحد . وكانت السماء تمطر ؛ وكنت ذاهبة الى مزرعـــة « ايزي » وتوقفت كالعادة تحت شجرة حور ، على حافة النهر .

ووصل العدو بعد قليـــل خلفي ، وكان يركب هو ايضاً دراجة . وكانت يده قد شفيت . وظل واقفاً تحت الشجرة لا يمضي . وكان المطر يهطل بشدة . ثم اشرقت الشمس بين الامطار ، فكفّ عن ان ينظر إليّ ، وطلب مني ان الاحظ كيف ان الشمس والمطر يستطيعان احياناً ان يكونا معاً في الصيف .

فلم أقل شيئاً . ومع ذلك نظرت الى المطر .

فقال لي اذ ذاك انه تبعني حتّى هنا ، وانه لن يذهب .

وحين استأنفت سيري ، لحق بي .

وظل يتبعني طوال شهر . وكففت عن الوقوف على طول النهر . ولكن كان يظل معسكـــراً هناك ، كل يوم احد . فكيف كنت استطيع ان اتجاهل انه إنما كان يأتي من اجلي .

ولم احدّث في ذلك ابي .

واخذت احلم بعدو ، ليل نهار .

وفي احلامي كانت اللاأخلاقية والأخلاقية تختلطان بحيث لم يمض وقت طويل حتى بتّ لا اميّز احداهما عن الآخرى . وبلغت العشرين من عمري .

وذات مساء ، كنت في حي « سانت ... » انعطف في شارع ، فقبضت يدٌ على كتفي . ولم اكن قد رأيته قادماً . وكان الليل قد هبط ، الساعة الثامنة والنصف مساء ، في شهر تموز . وكان هو العدو .

والتقينا في الغابات . وفي المستودعات . وفي الخرائب . ثم في الغرف .

وذات يوم ، تلقّى ابي رسالة مغفلة . وكان الانكسار قد بدأ ، وكنا في تموز ١٩٤٤ . وقد انكرت .

وأبلغني نبأ رحيله ، ونحن تحت شجر الحور الذي يحفّ النهر . وكان مسافراً في اليوم التالي إلى باريس في شاحنة . وكان سعيداً لانتهاء الحرب . وحدثني عن بافاريا حيث تعاهدنا على اللقاء ، وعلى الزواج .

وكانت طلقات نارية قد سمعت في المدينة . وكان الناس ينترعون الستائر السوداء ، وكانت اجهزة الراديو مفتوحة ليل نهار . وعلى بعد ثمانين كيلومتراً ، كانت قطارات ألمانية متدحرجة في المجاري .

وكنت استثني ذلك العدو من جميع الآخرين .

كان هو حبيبي الاول .

وما كنت استطيع ان اتبيّن ادنى اختلاف بين جسمه وجسمي ولم اكن أستطيع ان ارى بين جسمه وجسمي الا شبهاً هادراً .

كان جسمه قد اصبح جسمي ، ولم اكن انجح في تمييزه عنه . كنت قد اصبحت النفي الحيّ للعقل . وجميع الاسباب التي كان يمكن للناس ان يوجهوها الى فقدان عقلي ، كان بامكاني ان اكنسها ، وكيف ، على انها قصور من ورق ، وعلى انها تماماً اسباب خيالية محض . فليرجمني بالحجر الاول اولئك الذين لم يعرفوا قط ان يسلبوا أنفسهم . انه لم يبق لديّ من وطن إلاّ الحب نفسه .

وكنت قد تركت كلمة لأبي ، أقول له فيها إن الرسالة المغفلة كانت صادقة : انني كنت احب جندياً ألمانياً منذ ستة اشهر ، وكنت اريد ان اتبعه الى المانيا .

وكانت المقاومة في نيفر قد بدأت تقترب من العدو ؛ ولم يكن ثمة بعد رجال شرطة . وعادت امي .

وكان مقرراً ان يسافر في اليوم التالي ، وان يأخذني معه في شاحنة ، تحت أعواد حطب تستعمل للتغطية . وكنا نتصوّر اننا نستطيع ألاّ نفترق بعد أبداً .

وقصدنا الفندق ، مرة اخرى . وذهب عند الفجر ليلتحق بمعسكره ، باتجاه سان لازار .

وكنا متفقين ان نلتقي ظهراً ، على محطة اللوار .

وحين وصلت عند الظهر ، لم يكن قد مات بعد تماماً . كانت النار قد أُطلقت عليه من حديقة .

وقد ظللت نائمة على جسده طوال النهـــار وطوال الليلة التالية .

وفي اليوم التالي ، أتوا يحملونه في شاحنة . وفي تلك الليلة حُرِّرت المدينة . وملأت اجراس سان لازار المدينة . وأعتقد اني ، نعم ، قد سمعتها .

ووضعوني في مستودع في « شان دومارس » . وقال البعض هناك انه كان واجباً ان يجزوا شعري . ولم يكن لي رأي . وكان صوت المقص على رأسي يَدَعني في لامبالاة كلية . وحين فرغوا من ذلك ، أخذني رجلٌ في الثلاثين الى الشوارع . وكان ستة يحيطون بي ويغنّون ولم اكن أحسّ شيئاً .

ولا بد ان أبي قد رآني من خلف المصاريع. وكانت الصيدلية مغلقة بسبب العار وفقدان الشرف .

وأعادوني الى مستودع « شان دومارس » ، وسألوني ما كنت اريد ان أفعله ، فقلت إنه لم يكـن لي رأي . وعند ذاك نصحوني بأن أعود الى البيت .

وكان الوقت منتصف الليل . ولقـــد تسلّقت جدار الحديقة . وكان الطقس جميلاً ، وتمددت على العشب ، لكي أموت . ولكني لم أمت . واصبت بالبرد .

وقد ناديت اسمي طويلاً ... وحوالى الثانية صباحاً ،

أضيئت المصاريع .

ولقد اعتبروني ميتة . وعشت في كهف الصيدلية ،
وكان بوسعي ان ارى أقدام الناس ، وفي الليل ، منحنى
ساحة « شان دومارس » الكبير .

وأصبحت مجنونة . من الشراسة والخبث . وكنت ،
على ما يبدو ، أبصق في وجــه امي . ولا أملك الا
ذكريات قليلة عن هذه الفترة الــتي نبت فيها شعري من
جديد . باستثناء هــذه الذكرى بأني كنت أبصــق في
وجه امي .

ثم أصبحت رويداً رويداً أميّز الليل عن النهــار ،
وألاحظ أن الظلّ كان يدرك زاوية جدران الكهف حوالى
الساعة الرابعة والنصف ، وأن الشتاء قد انتهى ذات مرة.
وسُمح لي احياناً ان أخرج في الليل وانا ملفّعة . وحدي .
على الدراجة .

وقضى شعري سنة حتّى نبت وترعرع . وما زلت
افكر بأن الأشخاص الذين جزّوا شعري لو تذكروا المدة
التي ينبغي للشعر ان يقضيها حتّى ينبت من جديــد ،
لتردّدوا في جزّه . وإذن ، فقد فقدت الشرف ووقعت
في العار بسبب غلطة ارتكبها خيال الرجال .

وذات يوم ، وصلت أمي لتغــذّيني ، كما كانت
تفعل عادة . فأبلغتني أنه قد آن الاوان لأن أرحــل .
وأعطتني مالاً .

وسافرت الى باريس على الدراجة . وكانت الطريق طويلة ، ولكن الطقس كان حاراً . الصيف . وحين وصلت باريس ، صباح اليوم التالي ، كانت كلمة هيروشيما في جميع الصحف . وكان ذلك خبراً عظيماً ، وكان شعري قد بلغ طولاً معقولاً . ولم يجز شعر أحد .

صورة الياباني

رجلٌ في الأربعين من عمره ، طويل القامة ، لـه وجهٌ « مستغرب » (نسبة الى الغرب) واختيار هـذا الممثل الياباني من هـذا الطراز الغربي ينبغي ان يفسَّر كما يلي :

إن ممثلاً يابانياً من طراز ياباني شديد الوضوح يوشك ان يحمل على الظنّ بأن الفرنسية انما فُتنت به لأنه ياباني. وبهذا نقع في « طلب الغرابة » وفي العرقية غير الارادية المتصلة بالضرورة بكل ما هو مطلوب لغرابته .

يجب الا يقول المشاهد : « كم ان اليابانيين ساحرون ! » بل ان يقول : « كم أنّ هذا الرجل ساحر ! »

من أجل هذا يُفضَّل الحدُّ من الاختلاف النموذجي بين البطلين . فاذا لم ينس المشاهد قط ان القضية قضية ياباني وفرنسية ، ضاع مغزى الفيلم العميق . اما اذا نسي ذلك ، بلغنا الهدف المقصود .

إن « مستر بترفلاي » لم يعد وارداً . وكـذلك « مدموازيل دو باريس » . يجب الاعتماد على المساواة في العالم العصري . وحتى ينبغي الغش لإظهـار ذلك وإلا فأية فائدة لإخراج فيلم ياباني فرنسي ؟ يجب ألا يظهر هذا الفيلم الياباني الفرنسي على انه ياباني فرنسي قط ، بل ينبغي ان يبدو فيلماً معاكساً للروح اليابانية الفرنسية . وسيكون ذلك انتصاراً .

إن الرجل يمكن ان يكون فرنسياً ، من حيث الصورة الجانبية . جبين مرتفع ، فم عريض ، شفتان بارزتان ، ولكنهما « قاسيتان » . ليس في الوجه اي لطف متكلف. وليست فيه اية زاوية تنم عن عدم دقة في الملامح .

هو مهندس . وهو يتعاطى السياسة . وليس ذلك من قبيل الاتفاق . فان التكنيكيين عالميـون . وكذلك اوتار المعطيات السياسية . ان هذا الرجل رجل عصري أضاع سذاجته في القضايا الرئيسية . فهو لن يشعر بأي اغتراب في اي بلد من بلاد العالم .

إنه منسجم وسنه ، جسدياً وأخلاقياً .

هو لم « يغش » مع الحياة ، ولم يكن له ان يفعل ذلك : إنه رجل شغلته حياته دائماً ، وشغلته بما فيـه الكفاية حتى لا « يجر » وراءه حنيناً الى المراهقة غالباً ما يجعل من الرجال ذوي الاربعين عاماً رجالاً مزيفين ما يزالون يبحثون عما يمكن ان يفعلوه ، ليبدوا واثقين

من أنفسهم . اما اذا لم يكن هو واثقاً من نفسه ، فللذلك اسباب اخرى .

ليس لديه حبٌ حقيقي للتزين ، ولكنه لا يهمل نفسه قط . وليس هو « زير نساء » ، فان له امرأة يحبّها ، وولدين . ولكنه مع ذلك يحبّ النساء ، غير أنه لم يمتهن قط مهنة « زير نساء » . وهو يعتقد ان هذه المهنة هي مهنة « استبدال » تستحق الاحتقار ، وهي اكثر شبهة . ويعتقد أن من لم يعرف قط حب امرأة واحدة قد مر على هامش الحب والرجولة .

وهو من أجل هذا بالذات يعيش مع هذه الفرنسية مغامرة حقيقية ، حتى ولو كانت مغامرة لقاء عابر . ولأنه لا يؤمن بفضيلة الغراميات العابرة ، يعيش مع الفرنسية غراماً عابراً يتصف بذلك الصدق وذلك العنف .

صورة الفرنسية

انها في الثانية والثلاثين .

وهي مغرية ٌ اكثر منها جميلة .

ويمكن ان تُسمّى هي ايضاً ، بطريقة ما ، « النظر » . فكل شيء لديها ، من الكلمة الى الحركة « يمرّ بالنظر » .

وهذا النظر ينمي نفسه . إن هذه المرأة تنظر لحسابها الخاص . ولا يكرّس نظرها مسلكها ، بل هو «يتجاوزه» دائماً .

صحيح ان جميع النساء ، في تعاطي الحب ، ذوات عيون جميلة . ولكن حب هذه يقذفها في توزّع الروح اكثر من اية امرأة اخرى . لأنها « اشدّ حباً للحب نفسه » من اية امرأة اخرى .

هي تعلم ان الانسان لا يموت من الحب . فلقد اتيحت لها ، في حياتها ، فرصة نادرة لتموت من الحب . ولكنها

لم تمت في نيفر . ومنذ ذلك اليوم ، وحتى هيروشيما ، حيث تلتقي هذا الياباني ، تحمل في نفسها « الغموض الروحي » الذي تحمله امرأة أُوقف تنفيذ الحكم فيها وعُلِّق بفرصة فريدة لتقرير مصيرها .

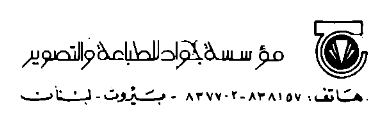
وليس ما يطبع حياتها هو ان تكون قد جُزَّت واصيبت بالعار ، وانما إخفاقها في ألاّ تموت من الحب يوم ٢ آب ١٩٤٤ ، على رصيف اللوار ذاك .

وليس ذلك متناقضاً مع موقفها في هيروشيما مع الياباني . على العكس ، ان ذلك على صلة مباشرة بمسلكها مع ذلك الياباني ... فان ما ترويه للياباني هو تلك الفرصة التي اضاعتها ، ولكنها تحدّدت بسببها .

والقصة التي ترويها عن هذه الفرصة الضائعة تنقلها خارج نفسها وتحملها الى هذا الرجل الجديد .

فان ما ينقذها هو ان تستلم جسداً وروحاً . وليس في هذا معادل الامتلاك الغرامي فحسب ، بل معادل « الزواج » ايضاً .

إنها تمنح هذا الياباني – في هيروشيما – اعزّ ما لديها في العالم ، التعبير الحالي عن « بقائها » بعد موت حبيبها ، في نيفر .


مؤسسة جواد للطباعة والتصوير
هاتف: ٨٣٨١٥٧-٨٣٧٧٠٢ - بيروت - لبنان



ولدت مرغريت دوراس في الكوشنشين حيث كان أبوها استاذاً في الرياضيات وأمها مدرّسة في الصفوف الابتدائية. أقامت فترة وجيزة في فرنسا خلال طفولتها ولم تغادر سيغون نهائياً الا في الثامنة عشرة.

آثار هذه الكاتبة، التي ألّفت روايات ومسرحيات كثيرة، وكذلك أفلاماً نذكر منها: «هيروشيما حبيبي» و«انديانا سونغ» يسكنها اليقين بأن الحب المطلق ضروري ومستحيل في آن.

روايات مارغريت دوراس

من منشورات دار الآداب

* هيروشيما حبيبي
ترجمة: د. سهيل ادريس

* العاشرة والنصف ذات مساء صيفي
ترجمة: رنا ادريس

* انخطاف لول ف. شتاين
ترجمة: جاك الأسود

* نائب القنصل
ترجمة: جاك الأسود



دار الآداب
هاتف ٨٠٣٧٧٨ ـ ٨٦١٦٣٣
ص.ب ٤١٢٣ ـ ١١ بيروت

تصميم الغلاف: فصيح كيسو